الرسالة الغراء

فى نصح الأبناء

أ.د/ أحمد أحمد غلوش
عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق

(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

" إهـــــداء "

إلى أبنائى وبناتى ....

أهدى هذه الخواطر لتكون نوراً يهديهم للحق ، ويذكرهم بفضل الله تعالى .

وإلى كل الآباء ليهتموا بأبنائهم .

وإلى جميع الأبناء ليقدروا نصائح الآباء ، ويلتزموا بها .

إلى هؤلاء وهؤلاء أهدى خواطرى .

د/ أحمد

تنـــويه

أصل هذه الرسالة مجموعة من الرسائل أرسلتها لأولادى فى مصر بعد نزولهم من مكة المكرمة للدراسة الجامعية .

وقد جعلتها رسالة واحدة .

آمل أن تبقى بين الأبناء والذرية ، وتنتشر بين الناس .

د/ أحمـد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـة

أهدى هذه الخواطر إلى أبنائى جميعاً ، وإلي محمد علي الخصوص ، فهو أكبرهم ، وأملى فيه أن يقوم بدورى معهم ، وإن يعامله الجميع كأنه أنا ... إخوة كأنهم أبناء أحدهم ،. يحب بعضهم بعضاً ،. ويغار. كل منهم على مصلحة الباقين .

إني أخاطب بهذه الكتابة محمداً. فهو الذى حركنى لكتابة هذه الخواطر ، يوم أن بدأ دراسته بالقاهرة وأخذ هو وشقيقته الكبرى " **منال** " يدرسون بمصر ، ساعتها شدنى الشوق. ،. وألهبنى الحنين ، وحركنى الحرص ،. ودفعنى الخوف ، وجذبنى الأمل إلى كتابة هذه الخواطر لتحقيق ما يلى :

أولا : محاولة دفع الأبناء إلي الالتزام بالطريق المستقيم وهم بعيدون عني ، ليستمروا علي ما كانوا عليه وهم معي .

ثانياً : دفع الأبناء إلى العمل ، والدراسة ، والابتعاد عن دوافع الهوى ، وترك جواذب الشباب الضارة ، وبخاصة أن محمداً ومنالا يعيشان وحدهما ، ومعهما نعمة الصحة والمال ، ولا أريد لهما أن يعيشا فراغاً يجلب الضرر والفساد ، أو يهملا حقا لله تعالى ، أو لأحد من الناس .

ثالثاً : تحديد غايات عالية تأخذ الأبناء نحوها ، لأن ارتباط النفس بأمل واضح ، وهدف نبيل يوجه الحركة والفكر نحو الهدف ، ويضبط السلوك والعمل فى الطريق المستقيم .

رابعاً : تحقيق الأسوة والقدوة وإيجادها في الواقع العلمي والعملى أمام الأبناء ، لأن بقية الأبناء يسيرون فى خطى أخيهم الأكبر ، واستقامته تكون سببا لاستقامتهم ، وبمثل عيشته ستكون حياتهم .

خامساً : زرع الحب الأصيل فى قلوب الأبناء ، وذلك بتذكيرهم بما وفقنى الله فيه من بذل وجهد ، وبما أطلبه منهم جميعاً فى إطار يصون الحقوق ، ويحدد الواجبات ... ويؤكد الكرامة ... ويضمن لهم التماسك الأخوى ، والتلاحم المفيد ،

وحتى يبقى كلامى هذا شاهداً عليهم ، ورقيباً يوقظهم عند حدوث غفلة أو نسيان .

سادساً : تذكيرهم بالمسئولية أمام الله تعالى ، وأمام والديهم ، ووضع هذه المسئولية فى إطار ثابت مقروء ، لا يغيب عن حياتهم ، وأعينهم ...

ولسوف أسألهم ما حييت ، وأوجههم ، وأنصحهم ، وأصحح ما يحتاج لتصحيح فى أعمالهم ، وسلوكهم ، وتعاونهم .

ولسوف **تحوم حولهم روحى بعد موتي** لأطمئن على تنفيذهم وصاياى ، ولأعرف مدى برهم بطاعتى ، بعدما أودعهم ، وأرحل عنهم ، وللحمد لله فكل ما أتمناه أمر مشروع ، وهو طاعة لله تعالى قبل أن يكون براً بى .

ولسوف أسعد بطاعتهم ، **وأحزن كثيراً** إن ضيعوا أملى فيهم ، وأهملوا ، وأدرك الآن أنهم سيتألمون يوم الفراق ، وسيتذكرون ما عملت معهم ، ولكن خوفى من تبدل الحال بمرور الزمن ، وحينئذ لا يلتفتون لوصاياى ... وهذا ما أحذرهم منه برجاء .

سابعا : تعريف الأبناء بسيرة أبيهم لتكون نبراساً أمامهم يستفيدون بمحاسنها ، ويتلمسون دروبها حتى لا ينسيهم تغير الحال أصولهم وجذورهم ، وبخاصة إذا أنعم الله حياتهم ، وأفاء عليهم بكرمه وفضله .

ومن المعلوم أن التذكير بفضائل الآباء والأمهات هاد إلى الحق والصواب من قبيل قول الله تعالى ﴿يَتَأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾ .

أبنائى .....

لا أطلب منكم مالاً ، أو علماً ، أو حاجة شخصية ، وكل ما أطلبه هو خيركم لأفخر بكم عند ربى ، وتفخرون أنتم بانتسابكم إلى أب سجل لكم وصاياه ، بعدما بذل جهداً فى تعليمكم ، وتربيتكم ، وتوجيه عملكم ، ومراقبة سلوككم .

أبنائى .....

لو كنت أدرك أن وصاياي ضارة بأحدكم ما فعلتها ، ولكنى أظنها خيرا لكل واحد منكم ، ولكل من يريد أن يتخذها لنفسه من الناس .

أبنائى .....

لو نشأ أبناوكم في إطار هذه الإخوة الصافية فسيكونون رجالا. جادين ،. يحملون. المعبء. عنكم في وقت قريب ، ويعيشون قوة القرابة ، وروح الأسرة ، وجمال التماسك .

أبنائى .....

هل تعون وصاياى هذه ؟

هل تحرصون عليها ؟

اعلموا أن اهتماماتى تنحصر فى رجائي من كل واحد منكم ليعى وصاياى ، ويحرص على أخيه ، ويلتزم بالتعاون الجاد معه ، والحب المخلص له .... وكفى ....

أبنائى .....

لا تتركوا أحداث الزمان تؤثر في نفوسكم وقلوبكم ، وتذكروا دائما أني ربيتكم بطريقه واحدة ، وعاملتكم معاملة واحدة ، وجمعت الأيام بينكم معي ، في المأكل ، والمشرب ، واليقظة ، والمنام ، أملا في استمرار وحدتكم ودوام صفائكم وودكم ، فلا تنسوا أياما عشتموها معي مملوءة بإخلاص الأخوة ،وحب التماسك ، ووحده الحياة والمصير .

أبنائى .....

شكراً لكم ،. ولسوف. نلتقى عند الله إذا. استقمتم علي الطريق ، فلا تجعلوني أعتب عليكم ، ويا ليته يكون لقاء لا فراق بعده لأسعد بكم فى جنات الله . كما سعدت بكم فى دنيا الناس .

أبنائى .....

كتبت هذه الخواطر ، وأرسلت كثيراً منها إلى " **محمد** " يوم. أن. كان. بعيداً. عنى فى " القاهرة " فلما التأم الشمل جمعتها فى نسيج واحد كما هى أمامكم .

أبنائى .....

سلاماً .... وتحية .... ووداعاً

أبـوكم

أ/ د أحمد أحمد غلوش

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدى العزيز محمد .....

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سلاماً وتحية ..... وبعد ،،،

فمن مكة المكرمة بلد الله الحرام. حيث تعيش الأسرة أكتب إليك بصفتي أبا أنجبك ، وأحبك ، وعاملك كصديق وعودك. مخالطة الكبار. ، وجعلك تعتمد علي نفسك في تصرفات كثيرة ، وخصك بكثير من الاهتمام والرعاية .

. يا بنى .

أكتب اليوم ناصحاً بعدما كنت مربياً ، فقد صرت رجلاً مسئولاً تحمل مهاماً ، وتكلف بأعمال ، وتقوم بدور رئيسى معى فى الحياة .

واعلم **. يا محمد .** أن الولد قطعة من أبيه ، فهو فلذة الكبد ، وسعادة النفس ، وصورة المستقبل ، جعله الله زينة الدنيا ، وبهجة الأمل ، وإنه لزينة راقية لو صلح شأنه ،

وأثمر صلاحه ، وصار باراً بوالديه وإخوانه ، وأهله .

وأحب **- يا ولدى -** أن أبدأ بشكر الله تعالى ، فلقد أحاطنى بفضله ، وأسبغ على نعمه ظاهرة ، وباطنة ... وحينما أعود لنشأتى الأولى يظهر فضل الله علىَّ بوضوح فلقد ولدت لأبوين بسيطين ، يتمتعان بطيبة القلب ، وصفاء الطوية أكثر مما يملكون من متاع الحياة الدنيا .

لم يكن أبى غنيا حتى أعيش فى بذخ ، ولكنه كان حريصا على دراستى ، وقد شجعته على ذلك بتفوقى ، ونجاحى ، وحبى للدراسة ، ومداومتى على أداء الصلاة ، وتخلقى بمكارم الأخلاق .

بعدت عن لهو الشباب ، ومزالق الهوى بعون الله تعالى ، ولما وقر فى قلبى أن ذلك يضيع الأمل ، ويبعدنى عن الفوز والنجاح ، ويحرمنى حب أبى وحرصه ، ولذلك استقمت .

لقد أوصى كل من درست على أيديهم أبى بضرورة الاهتمام بتعليمي بعدما تصوروا لدى استعدادا حسناً للتلقي واستقامة فى الخلق ، وتركيزاً على التفوق والفلاح ... ولا

أزال أذكر لشيخي فى كتاب القرية سؤالاً وجهه لى وقال فيه : **هل ستذكرني بعدما تكون مسئولاً كبيراً ؟**

لم أرد. عليه يومها لأنى لم أكن أتصور. بعدا. معينا للسؤال ، ولكنه ترك عندي حافزاً للعمل ، وحباً للنجاح ، وجعلنى أنظر للمستقبل بأمل وشوق ، وأحلم بهذه المسئولية الكبرى التى يتصورها شيخى فى مستقبلى .

لقد أتممت حفظ القرآن الكريم ، وأتممت قواعد الحساب ، والعلوم ، ومبادئ اللغة العربية وعمري أحد عشر عاماً ، وحينها التحقت بالمعهد الأزهري الابتدائي بمدينة كفر الشيخ بعد اجتياز امتحان القبول شفوياً فى القرآن الكريم وتحريرياً في الحساب واللغة العربية .

. يا ولدى .

لقد عشت مرحلة شبابى طموحاً ،. مستقيماً ،. محباً للقراءة ... وقد تعاليت نفسياً ، وعملياً على كل ما يقع فيه الشباب. ... وشهد أبناء. بلدى. بكل هذه الحقائق وأقربها زملائى ، وأقرانى ، وأذكر أنى كنت رائد أقرانى في القرية حين نعمل وندرس ، وحين نلعب ، وكنا نخترع سويا ألوان

اللعب ، وطرق التسلية ، وكنا نسهر معا وسط حكايات الخيال ، وأساطير الريف .

وقد أكرمنى الله بتفوقى الدراسى ، وانتظامى العلمى ، وحب القراءة الخارجية وبخاصة في المؤلفات السياسية ، ومذكرات الزعماء .

لقد قرأت في صغرى مذكرات أحمد عرابى ، ومحمود سامى البارودى ، ومصطفى كامل ، وسعد زغلول ومحمد فريد وجدى ، كما قرأت للمنفلوطى ، والرافعى ، ومحمد عبده ، وكنت شغوفا بتتبع أحداث السياسة ، وشئون العالم العربى والإسلامى ، على غير عادة كثير من الزملاء وكنت دائما من أوائل دفعتى في سنوات النقل ، وفى الشهادات العامة .

حصلت على الشهادة الابتدائية من معهد كفر الشيخ الدينى عام ١٩٥٤م ، وحصلت على الشهادة الثانوية الأزهرية من معهد طنطا الدينى عام ١٩٥٩م ... وتصورت قرب دراستى بكلية دار العلوم جامعة القاهرة التى كنت أتمناها ، حيث حصلت على المجموع الذي يؤهلنى لها ، ورشحت لها ، وبدأت الإعداد للدراسة فيها ، واستأجرت سكنا

للإقامة بجوارها ... إلا أن ظروفا خارجة عنى[١] حتمت أن تكون دراستى فى كلية أصول الدين جامعة الأزهر ، **بداية الخير** ، وهى اختيار الله تعالى وللحمد كله له سبحانه وتعالى .

أذكر أنى كنت طالباً مجداً ، دائم المذاكرة ، حسن الفهم ، لم أدخل امتحانا بفضل الله إلا وقد أتقنت سائر مقرراته فهماً ، وحفظاً ، على تنوعها ، سواء كانت مواداً دينية أو اجتماعية ، أو تجريبية ، أو رياضية ، وذلك عطاء الله أذكره لتأكيد الفضل ، وبيان ضرورة الشكر ، وكان من نتيجة ذلك تفوقى فى كافة المراحل الدراسية ونجاحى المستمر من الدور الأول ... وكنت دائماً من الخمسة الأوائل لا أزيد .

تخرجت من كلية أصول الدين بترتيب الأول على طلاب قسم الدعوة والثقافة الإسلامية عام ١٩٦٣م واستلمت شهادة التقدير من رئيس الجمهورية في عيد العلم لعام ١٩٦٣م .

---

(١) وكان ذلك بسبب صدور قرار بتجنيدى خطأ جعلنى أسحب أوراقى من كلية دار العلوم حيث لا انتساب فيها ... ومن العجيب أن هذا القرار تم إلغاؤه بعد ذلك بثلاثة أشهر وكأن الله قدره ليتغير مسارى رغما عنى . والحمد لله فقد أدى التغيير إلى خير عميم .

وبعد تفوقي وحصولي علي الجائزة قوى عزمى علي مواصله الدراسات العليا .

وهنا طرفة أحب أن أذكرها ففي العام السابق ، وفي عيد العام عام ١٩٦٢م حصل الدكتور أحمد أحمد غلوش رئيس جمعية منع المسكرات علي جائزة الدولة التشجيعية فلما أذيع اسمه في الإذاعة جاء أهل القرية يهنئون أبي ظناً منهم انه أنا ، فأخبرهم بأنه ليس أنا ، وإنما هو غيرى ، وفي العام التالي حينما أذيع أسمي لم يتحركوا ظنا منهم أنه هو وليس أنا ... ولله في أقداره وخلقه شئون .

ولم تكن الدراسات العليا أمراً سهلاً ، فلقد أحاطتني ظروف صعبة اختبر الله بها إرادتي ، فلقد قررت جامعة الأزهر عدم تعيين معيدين من قسم الدعوة لحاجة الدعوة إلى خبرة علمية ، تطبيقية ، تعيش مع الناس أكثر من علماء يعيشون مع الكتاب ، والمدرجات ، ونسي المسئولون وقتها أن الجانب العملي يحتاج إلى الجانب النظري المنهجي ، حيث التعلم والتدريس قبل العمل والتطبيق ، وهو الأمر الذى تداركته الجامعة بعد ذلك بعدة أعوام .

(١٩)

بعد حصولي على درجة الماجستير ، عينت مدرساً مساعدا في قسم الدعوة عام ١٩٦٧م بعد عوائق كثيرة ، تغلبت عليها بفضل الله تعالى .

وكان أن حصلت على الماجستير عام ١٩٦٥م والدكتوراه عام ١٩٧٠م ... وبدأت أجنى ثمار عمل نشيط امتد أكثر من عشرين عاماً .

لقد حاولت **. يا ولدى .** أن ارتبط بقريتى لأنى أحبها وعملت على اختيار شريكة حياتى من بينها . لكن إرادة الله أبت علىَّ ذلك بعد إن سرت فى هذا الطريق خطوات .

ووجدت نفسى بصورة قدرية باحثاً عن زوجة قاهرية حيث العمل والإقامة ، وتم زواجى بها وكانت أمك **. يا ولدى . هى زوجتى .**

لقد اخترتها يوم أن كانت هى الوحيدة المحجبة فى شوارع القاهرة ، وكانت بزيها الفريد محل تساؤل وتعجب فتصورها كل من رآها يومذاك بزيها الخاص أنها ليست مصرية ، وحرصت أن تكون شريكتي مثقفة بعلوم الإسلام

ولذلك كان اختيارها طالبة فى السنة النهائية فى قسم الفقه بكلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر .

وأشكر الله كثيراً أن رزقنى زوجة تحافظ على حق ربها ، وتعرف ما لزوجها وأولادها من حقوق ، وتؤدى ما يمكنها أداؤه ، وقد رزقنى الله منها الذكور والإناث ، أنت أكبر أولادها الذكور يا بنى .

وقد أهمنى أمركم جميعاً **. يا ولدى .** بعد أن امتد بى العمر ، وأخذت المقادير تبعد ببعضكم عنى ... حيث طلب العلم والتحصيل الدراسى[١] الذى أدعو لكم بالتوفيق فيه حيث أنتم الآن ، كما أدعو لكم بالاستقامة فى طاعة الله ، وبالحسن فى التعامل مع الناس .

لقد حرصت **. يا ولدى .** على أن تكونوا معى في أى مكان ذهبت إليه فحين كان عملى بجامعة الملك سعود بالرياض ما بين عام ١٩٧٣ . ١٩٧٧م اصطحبتك معى ، ومعك أختك الكبرى منال ... ورزقت خلال هذه المدة بأخوتك أمل ، ومحمود . وأيمن الذي لقي ربه بعد عام من مولده .

---

(١) كتب هذا فى عام ١٩٩٠م الموافق ١٤١١هـ .

ولما عدت للقاهرة مكثت بها ثلاث سنوات رزقت خلالها بإخوتك إيمان ، والحسن والحسين .

وحين ذهبت إلى مكة للعمل فى جامعة أم القرى كنتم جميعاً معى ، ورزقنى الله فيها بأخوتك ، عبد الرحمن ، وإبراهيم ، وعبد الله .

لم أرض أن أترككم وأعمل بعيداً عنكم ، وحاولت أن أكون راعياً لكم فى كل جزئيات حياتكم ، وفى كافة عمليات التوجيه ، واجتهدت فى رسم الخطوط التربوية لمساركم العلمي ، والسلوكي ... وقمت بتحفيظكم القرآن الكريم فى جنبات حرم الله الكريم ... وكثيراً ما اصطحبتكم لأداء العمرة ، ومناسك الحج المرة بعد الأخرى وكانت زياراتنا الدائمة لبيت الله الحرام عشقنا .

والآن تحتم الأقدار أن أترككم فى القاهرة للدراسة الجامعية ، وها أنت وأختك منال بعيدون عنى ...

يا لقسوة الحياة ...

ويا لصعوبة القرار ....

ويا لقسوة الفراق بين المحبين .

(٢٢)

لقد حدث ما لم أكن أتمناه فلقد عشت لكم ، وفرحت برؤيتكم ، وسعدت بوجودكم ، ولعبت معكم ، وكنت دائما أسر بتفوقكم ، وأطمئن عليكم خلال الليل وأطراف النهار ، لا أنام حتى تناموا ، ولا أستريح حتى أحضركم من مدارسكم رغم تباعدها ... لكنها كانت مشقة أرضاها ، وكان تعباً يريحني ، وكان ولجباً أشعر بوجودي معه ، وأسعد به وبنتائجه .

ولعلكم تدركون **. يا ولدى .** أنى كنت لكم في البيت :

- إماما أدعو ، وأرشد ، وأعظ .
- وأبا موجها ، وحارساً .
- ومشرفا على كل تصرفاتكم مع زملائكم .
- ومدرسا أشرح ، وأسأل ، وأربى ...
- وأماً أطبخ ، وأغسل ، وأطعم ، وأعين .
- وسائقا أوصلكم لمدارسكم ، وأعيدكم لبيتكم .
- وزميلاً ألاعبكم وأسمر معكم ...
- وعاملاً أرعي كافة شئونكم .

. يا ولدى . كنت كل هذا ، وكل ما أمكننى أن أكونه كنته

وبعد كل هذا تبتعدون عني ... الواحد بعد الآخر فى سلسلة متتابعة تشير إلى حركة الحياة ، وتؤكد أن نهاية الدنيا نوع من هذه الموقفات المتسارعة ... وتمثل أمامي لحظة الرحيل الذي لا لقاء بعده إلا عند ربي الكريم .

إنى الآن رغماً عنى أفكر فيكم وأنتم بعيدون عنى ، يشغلنى أمركم ... ويقلقنى بعدكم ... ويهمنى حالكم ، وأدعو الله أن يتولاكم ويرعاكم ، ويحدونى الأمل فى استقامتكم ، وأرجو أن تكونوا قدوة لأخواتكم جميعاً ، ولكل من يعاشركم ، ويتعامل معكم .

والله يعلم أنى ما قصرت فى شأنكم فقد طلبت الأم النجيبة الصالحة ذات الأصل الكريم ، لأنى أومن بأن العرق دساس ، وأن المرأة تلد مثل إخوانها وأخواتها ، وسعيت فى تحصيل العلم منذ نشأت ، وداومت البحث والنظر بعدما مكننى الله منه ، ليكون لكم بوالديكم ذكر ، وبعلمهما نفع ومدد ، فهو علم بالدين تصلح به الدنيا وتستقيم الحياة ، ويمتد بأثره الطيب إلى الآخرة ... وعشت فى الناس بخلق حسن ، فلم أترك خلافاً إلا قطعته بالصمت وابتعدت عن

الأخطاء بقدر استطاعتى مستعيناً بالعزلة والوحدة ، حتى لا يكثر الخطأ ، أو يتضاعف الخلاف ... وجانبت العصبية والغرور. ، وإذا. حدث. شىء. من ذلك أرجع عنه سريعاً ، واستغفر الله ، فليس من الدين عصبية وغرور وليس من الإسلام اعتزاز بالخطإ ، أو تمسك به .

وتحملت الحياة بعيداً عن موطنى الذى أحببته ليكثر الالتصاق بكم ، ولأتمكن من نيل ما يعيننى على تربيتكم ، وتحقيق الازدهار لحياتكم ، ولتعيشوا فى حياة أكثر سعة ، ورفاهية من حياتى التى عشتها .

وضاعفت العمل حيث وفقنى الله أملاً فى أن أترككم أغنياء أعزة ، أقوياء بفضل الله ، فالمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

وحقيقة الدين أن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون الناس .

وحقيقة الحياة أن بسطة المال الحلال قوة تعين صاحبها على حياة كريمة ، وغد سعيد .

وقد رزقنى الله تعالى بواسع كرمه وفضله الكثير فأديت حق الله فيه ، وأنفقت منه الكثير فى سبيل الخير والمنفعة للناس ، وحافظت على هذا الرزق بعد ذلك ، وشاركت أمكم فى ذلك ، وها هو الرزق أمامكم قد بارك الله فيه ، ويشهد الله تعالى أنى ما اكتسبته أو بعضه من حرام ، أو من شبهه حرام ، ولم أصرفه فى حرام ، ولم أنمه بالحرام ، ولم أتخذه طريقاً للكبر والتعالى ، وكل ما أرجوه أن يكون مالاً حلالاً مباركاً يحقق السعادة للأسرة جميعاً فى الدنيا وفى الآخرة .

وعساك **. يا ولدى .** أن تسير وإخوانك على طريقتى فيما بعد ، لأنها طريق ربى كما أودعه في إسلامنا الحنيف ، فتحافظوا على ما فى هذا المال من حقوق للعباد ، وحقوق لله تعالى فتسعدوا به كراما في الدنيا، وأعزة في الآخرة .

. يا ولدي . عش الحياة بطريقه كاملة ، لا تبخل فتحرم نفسك وقد أعطاك الله ، ولا تبذر فتضيع عطاء الله في غير وجهك ، ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ

مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[1] .

ولا تتصور **. يا ولدى .** إن السفينة أتمت رحلتها آمنة ، هادئة ... ولكنها عاشت فى محيط ماؤه أجاج ، وعواصفه عاتية ، وأمواجه عنيفة ، وأنواؤه عديدة ، وقاسية ، كادت السفينة بسببها أن تغرق وتضيع لولا إرادة الله الذي شاء سبحانه وتعالى أن تتم السفينة رحلتها ، وها هى تتهادى قرب شاطئها الأخير لترسوا عليه بسلام ...

وأنتم **. يا ولدى .** ركابها ، وشهودها ، المدركون عن قرب كل ما حدث لها ، والحمد لله الذى أجراها وأرساها إنه على كل شئ قدير .

وحاولت جهدى **. يا ولدى .** أن تعيش ومن يُدْرِكُ من إخوانك وأخواتك بهمة عالية ، وفضائل إسلامية راقية وقد وفرت لكم الوسيلة التى حسبتها تثمر ما أتمنى ، وتحقق ما أريد ، لم أبخل في نفقة ، ولم أقصر في رغبة ، ولم أمنع من حركة مادامت في إطار ما شرع الله .

---

(١) سورة القصص ، الآية ٧٧ .

ولم أسمح **. يا ولدي .** بأن يتسيد عليكم أحد من أقربائكم لأنه عم ، أو خال ، أملاً في أن تتكامل شخصياتكم وتظهر قدراتكم علي تحمل المسئولية منفردين ، ومستقلين وبذلك أبعدتكم عن ضحالة الفكر ، وضيق الأفق .

ولقد كنت **. يا ولدى .** أدعو الله لكم بحسن التربية ، وكرم الخلق ، وصلاح الحال والمآل ، وسعادة الدنيا والآخرة ، مع اتباعى لمظان إجابة الدعاء من استقامة دينية ، وطاعة لله رب العالمين **. بقدر جهدى .** وكثيراً ما لجأت لله فى تذلل وإلحاح أن يكرمكم جميعاً بالتوفيق للخير فى الدنيا، وللسعادة فى الآخرة وفى الدعاء أمل المؤمن ، ومعه يكون الارتباط بالقوى القادر ، فهو سبحانه ﴿ يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾[١] .

وقد أمرنا الله بالدعاء ليتحقق الأمل ، فقال سبحانه: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٢] ويقول الله تعالى ﴿ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[٣] .

---

(١) سورة النمل الآية ٦٢ .

(٢) سورة غافر ، الآية ٦٠ .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية ٣٩ .

إن اللجوء إلى الله عند الحاجات عبادة شاملة ، تحقق عبودية الملتجئ لربه وتؤكد إيمانه بخالقه المتصف بكل كمال يليق به سبحانه ، وتثبت أن كل ما يقع فى الكون هو بقضاء الله وقدره ، وذلك يستتبع الشكر لتحقيق المزيد ، ومداومة النعم .

ولقد جربت **. يا ولدى .** مدى الرضا بعد الدعاء ، وسعة الهدوء حين أشعر بمعية الله ، وكثرة المنعم ، ومضاعفة التوفيق .

إن معية الله نور يدركه أصحاب الصفاء ، ويلمسه المخلص من المؤمنين ، إنه إحساس روحى ، واستقرار نفسى ، واقتناع عقلى ، ورضى مطلق بكل ما يحدث ويقع لأنه في النهاية قضاء الله وقدره. وهو سبحانه عليم حكيم .

والولد هبة ربانية تحتاج إلى ذكر الواهب ، وشكره ، لتزداد الهبة بركة وتوفيقاً ، والله يضاعف لمن يشاء .

ومن أراد المزيد فليسلك الطريق .

ومن رغب في البركة فعليه بالحركة .

والله تعالى يقول : ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[١] .

ويقول سبحانه : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[٢] .

إن الله هو المدبر القدير يهب لمن يشاء ، ما يشاء ، كما يشاء ، في أى وقت يشاء ، وما علي العبد إلا أن يكون في الحال التي ترضي ربه الكريم .

أسأل الله أن يعيننى على حسن العبادة ، وحسن الشكر وأن يرزقنى التوفيق والقبول. ، وأن يبارك في كل غرس غرسته ، وأن يرينى في أولادى جميعا ما يسر ويفيد .

ثم إنى **. يا ولدى .**

حاولت معك منذ صغرك. أن. تعرف. دينك نظرياً ، وتطبيقيا ، وساعدنى الله فى ذلك حيث كانت نشأتك فى الرياض ، ومكة المكرمة إذ الجو مهيأ لتكوين هذه المعرفة وذلك العمل ، فعلوم الدين أساس الدراسة ، والتطبيق الدينى

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية ١٧ .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية ٧ .

صورة الشارع العام ، وقد استفدتُ من هذا الواقع بالتركيز على إبراز المفيد منه ، وتجليته ، والتوجيه المستمر ليكون التفوق فيه هدفاً دراسياً ، وتكويناً لذاتك فى مراحل حياتك الأولى .

والحمد لله أن وفقنى فى ذلك إلى حد بعيد ، فلقد رأيتك متفوقاً فى الدراسات الدينية ، عارفاً بالأحكام الشرعية التى تحتاج إليها فى حياتك العملية ... وقد ساعدك الله تعالى بحفظ القرآن الكريم فى بلد الله الحرام ، وسرت في هذا المسلك مع إخوتك جميعا ، فأتموا حفظ القرآن الكريم جميعا ، وتحولوا جميعا إلى رجال **(رغم صغرهم)** ، في الحركة والسلوك ، وفى فهم الآخر ، وحسن التعامل معه .

لقد كنت **. يا ولدى .** أكلفكم بأعمال الرجال ، وأترككم في مواجهة الصعاب لتتمرسوا علي متاعب الحياة ، وتكونوا رجالا وسط الناس .

لم أقبل لكم حياة الدلال والرفاهية ، ولم أبعدكم عن المشاق من أجل إنشاء رجولة صلبة في تصوراتكم ،

ونشاطكم ،. وحياتكم ،. وها أنتم اليوم. تحملون. المسئولية باقتدار ، فى إطار عون الله وتوفيقه .

ثم إنى **. يا ولدى .**

كنت أصطحبك حيث مجالس الرجال ، وفى الأسفار لتعايش الواقع ،. وتنقل بالتجربة والممارسة حياة. الكبار.، وأخلاقهم ، وأحمد الله أن من خالطتهم من الناس هم كُمَّل الرجال ، وأصفياء الخلق ، وأنقى عباد الله تعالى في هذا الزمان ، تلقاهم فتسمع الإسلام بوضوحه ، وصفائه ، وترى التطبيق التام لما تسمع ، وإذا عاشرت أبناءهم تجد صورة آبائهم فيهم ، فهم ذرية بعضها من بعض ، لا وجود للنفاق فى حياتهم ،. إنهم جلساء. صالحون. لا. يشقى جليسهم ، ومجالستهم لذلك خير من الوحدة ، ورسول الله ﷺ يقول : " **إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه وأما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق**

ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة "[١] .

والإنسان المؤمن إن قال صدق ، وإن وعد وفى ، وإن أؤتمن لم يخن ، وإن استنصح نصح ، وإن رأى معروفاً أقره ، وإن شاهد منكراً أنكره ، يعيش دنياه غريباً أو عابر سبيل ، كل أمله ما عند الله .

هؤلاء هم العلماء بحق يقول النبى ﷺ عنهم : " **إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ، ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى .**

قالوا : يا رسول الله تخبرنا من هم ؟

قال ﷺ : هم قوم تحابوا بروح الله ، على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فو الله إن وجوههم لنور ، وإنهم على نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس " ثم قرأ قوله تعالى ﴿ **أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾** ﴾[٢][٣] .

---

(١) صحيح مسلم . كتاب البر والصلة . باب استحباب مجالسة الصالحين ج٣ ص٦٣ .

(٢) سورة يونس ، الآية ٦٢ .

(٣) سنن أبى داود . كتاب الإجارة . باب فى الرهن ج٣ ص٥١٣ .

وأتصور أنك استفدت من ذلك قدوة وأسوة فلقد استفدت . أنا . منهم ، وكان اختيارهم ، والتواصل معهم توفيقاً من الله تعالى لأنى تعرفت على أغلبهم في مكة المكرمة ، وكانوا من جنسيات مختلفة ولم يجمعهم إلا الدين والخلق ، والصدق ، والصلاح ، أسأل الله تعالي أن نلتقى بهم في مستقر رحمته ، في مقعد صدق عظيم عنده سبحانه وتعالى

ثم إنى **. يا ولدى .**

صاحبتك كصديق من وقت مبكر ، وكانت أسعد أوقاتى أن تكون معى حين أزور أصحابى ، وألتقى بهم ، بك تَقَر عينى ونفسى ، وتسعد روحى وحياتى ، ولتحمل عنى بعض مسئوليات إخوانك ، إن أصابنى الكبر بضعفه وعجزه ، أو غادرت الدنيا إلى الله رب العالمين ، والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، ومن الآثار أن تعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، وتعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ، وقد لامنى المبعض لكثرة مصاحبتك ، لكننى لم أنظر لهذا اللوم لتعارضه مع رغباتى وسعادتى ، وعساك تتذكر يوم أن كنت

معى فى أسواق مدينة الرياض حريصاً على أن تتشبه بأختك " منال " فى لباسها وزيها .

. يا ولدى .

كثيراً ما تركتك للحياة ، تتحرك وحدك ، ثقة فى عقلك وفهمك ، واطمئنانا لعلو همتك ، والتزامك بمكارم الأخلاق وذلك أمر أطمئن إليه الآن. إلى حد كبير ، وقد شهدت الوقائع به ، فعرف الأهل أنك تحب الريف كأبيك ، ونطقت الألسنة بأنك صنو أبيك فى الخلق ، والسلوك ، والدقة ، والحذر ، والاعتزاز بالرأى ، وأقر الرجال الكبار بتوجهك المستقيم ، ولا أنسى تعاليك الرفيع عن الدنايا ، وخوفك من الله ، وحرصك على أمانى أبيك فيك ، وسمو خلقك وسلوكك ، وتيقنك أن الدنية مذمومة عند العقلاء كما أنها مذمومة فى شرع الله تعالى .

ثم إنى حاولت بوضوح إنكار المنكر مهما كان فاعله ، والأمر بالمعروف فى كل مجال ، وحال .

وأملى فى الله أن تؤتى هذه الوسائل الفائدة المرجوة منها لأنها منهجى معك ، ومع إخوانك كذلك .

وقد تسألنى عن السر فى كتابة هذا الخطاب إليك وفى هذا الوقت بالذات ولك أن تعرف ذلك .

إما الكتابة إليك أنت بالذات فلأنك الأكبر ، وأنت قدوة لإخوانك ، وقد بلغت مبلغ الصبا ،. وبدأت تعيش حياتك بعيداً. عنى ،. فى مجتمع غزته حضارة الغرب ، بفساد.ها وماديا‌تها ، وأرى أنك فى حاجة إلى سند متين ، يقوى همتك ، ويدفع عزيمتك إلى الخير ،ويصرف عنك كل وسواس خناس من الجنة والناس .

وكتبت إليك لأنك المتجربة ا.لأولى التى بذلت معها جهدى ومنهجى ، ولذلك أحرص على نجاحها فيك ، وفى إخوتك ، وذريتك بعد ذلك .

ووقتك هذا الذى أكتب إليك فيه له أهميته فإن مرحلة اليفاعة والشباب طاقة وانطلاق ، وقوة ، واندفاع ، ومغريات الدنيا تحيطها من كل جانب ، والنصيحة فيها ثمينة وغالية ، وتنظيم السعى خلاله يحقق التوازن والتكامل والصلاح .

وليس هذا الموقت هو زمن كل الكتابة ، لأن الزمن سيمتد ويطول ليعرض الأحداث والأحوال التي تتغير بتغير الزمان ، وتبدل الأحوال .

إن هذا الوقت هو البداية ، أما النهاية فعلمها عند ربى وسوف تتضح مع آخر كلمة أكتبها لكم هنا .

وهاأنذا أكتب إليك ببعض النصائح التى تحتاج إليها ، لتستعين بها فى حياتك ومستقبلك ، ورجائى أن تكون محل اهتمام وعناية منك ، ومن إخوانك معك فقد كتبتها خالصة صادقة ، والأب يتمنى لولده الخير كله ، ويسعده من ولده أن يستقيم ، ومن بِرِّ الولد بأبيه أن يطيعه فى حياته ، وبعد مماته ما دامت نصائحه فى طاعة الله ورسوله .

إن هذه الكتابة نصيحة لك ، ولأخوتك معك ، لتكون منهجاً لهم فى حياتى ، وبعد مماتى ، وحتى تذكرونى دائماً بالخير ، وطاعة الله تعالى .

لقد بذلت **.يا ولدى.** جهدى فى التنشئة والتكوين ، وفى التربية والتوجيه ، وهاأنذا أواصل النصح والإرشاد لكبار عقلاء صاروا مسئولين مكلفين ، لأن من صفات المؤمنين

أنهم عاشوا الإسلام قولاً وعملاً يصفهم الله تعالى بقوله سبحانه ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾[١] .

ويأمرهم الله فيقول سبحانه ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾[٢] ولذلك يأمرنا ربنا بمداومة النصح والتذكير يقول الله تعالى ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] ويقول النبى ﷺ : "**الدين النصيحة** "[٤] .

فتقبلها **. يا ولدى .** من أبيك والله يوفقك ويهديك ، ولتكن هذه النصائح هى وصيتى إليك لتعمل بها فى حياتى وبعد أن ألقى ربى .

هى لك ولإخوتك أبرئ بها مسئوليتى أمام الله ، فلقد ربيت بالقول والعمل ، ونشأت بالمشاهدة والتكوين ، وعلمت الدين والدنيا ، وأخلصت فى النصيحة ، وها هو قولى

---

(١) سورة العصر الآية ٣ .

(٢) سورة البلد الآية ١٧ .

(٣) سورة الذاريات الآية ٥٥ .

(٤) صحيح مسلم .كتاب الإيمان . باب بيان أن الدين النصيحة ج١ ص٥٣.

يشهد على توجهى ، وهذا هو برهانى فى صدقى وعملى ، **أودعه فى هذا السجل المدون لينطق** عنَّى عند ربى ، ويشهد لى حين الحاجة إليه ،. ويكون. مرفقا بكتابى حين أرفعه بيمينى أمام الملإ عند ربى ، كما أرجو وأتمنى واسأل الله أن يكون معى ليهدين .

لقد وجهت بالقول ، وأشرفت فى السلوك والتطبيق ، واعتنيت بالتعليم والتفوق ، وهاأنذا أترك كتابى هذا نيابة عني لتبرأ ذمتي وأنا بعيد عنكم .

وفى تصورى أنى لم أقصر فى تربيتكم ، فلقد مكثت المعمر كله معكم ،. أسهر وسطكم ،. لا. أنام. حتى يقعدنى التعب ، ويغلبنى النوم ، فلقد كنت أباً ، ومعلماً ، ومربياً ، وحارساً ، بل وخادماً يسعى لإطعامكم ، وشرابكم ، ومنامكم وكل ما يريحكم ، وينجيكم .

وحينما يسأل الله تعالى الأرض عن ما حدث فوقها ... سأجد كثيراً من عناصرها فى سعتها تشهد لى حيث عشنا فى الرياض ، ومكة المكرمة ، ومدينة القاهرة ، في أركان المبيت وجوانبه ،. وفى إطار. الأسرة. ونشاطها ،. وعند

مؤسسات العلم ، وبيوت العبادة ، ومع الأصحاب والأقارب ، وفى دور اللعب والتنزه ، إذ كنت حيث كنتم ، ولم أكنه إلا بكينونتكم ، وكل هذه الأماكن وغيرها تشهد معى ، وتفيدني.

ورجائى أن توضع هذه النصائح فى مكانها الصحيح ... وعسى أن تتقبلها وإخوتك منى لتكون دستوركم فى الحياة ، وطريقكم فى السلوك ، وعاداتكم فى تربية الأبناء ، ومنهجكم فى التعامل مع الآخرين ، ولئن تحقق رجائى هذا فهو بركم بى ... وفخرى بكم عند ربى ...

أرجو التوفيق ، والسداد ... ولقاؤنا الموعد الحتمى عند مليك مقتدر ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾[1] .

ولسوف تسعد روحى فى قبرها حينما أشعر بصلاحكم كما سعدت نفسى باستقامتكم ، وأنا معكم .

وسوف يصلني بركم باستقامتكم ... ولسوف أنتظر منكم صلاحاً يصحبه دعاء ، وخلقاً يحقق البر وحسن الخلق.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٣٠ .

(٤٠)

وأرجوكم بكل قوة وحرص أن لا تحزنونى فى قبرى بانفصال جمعكم ، وتناحركم فيما بينكم ، وهدم الكيان الذى أقمته ، وسعدت به ، وعشت معكم راضياً سعيداً .

أبناؤكم نبت لكم ، وامتداد لى بعدكم فاهتموا بهم ، ولا تتركوهم للفراغ ، والمال يضيعهم ، ويلعب بهم .

أكرر الرجاء ... أكرر الحذر ... أكرر الأمل ...

والله خير من يحقق الأمل ، ويوفق للخير ، ويجيب رجاء المضطر ، ويهدى إلى سواء السبيل .

(٤١)

ـ أولاً ـ

اعــرف ربـك

إبنى العزيز . محمد .

نصيحتى الأولى إليك أن تعرف ربك ، فهى أهم النصائح ، وأحقها بالطاعة وأولاها بالاستجابة والقبول ، لأن المحافظة عليها دافع للمحافظة على كافة الحقوق بعدها ، وإهمالها أو التقصير فيها إشارة إلى إهمال سواها مهما كان شأنه ، ومعرفة الله تقوم على الإدراك النظرى ، والتطبيق العملى ، وكلاهما لازم للآخر ، فبالنظر يعرف الله ، وبالعمل يعبد الله ، وبهما معا تكون المعرفة على حقيقتها .

. ياولدى . تذكر دائما أن الله أعطاك الكثير ، وبارك لنا في القليل حتي صار كثيراً ، وهيأ لنا أصحابا كراما أحبناهم وأحبونا ، ويسر بيننا الثقة. كل ذلك بفضل الله تعالي .

تنبه **. يا ولدي .** وأعلم أن كثيراً من الناس حاولوا النجاح ففشلوا ، ولكن الله هيأنا للنجاح ويسره لنا ، وشكر ذلك الإقرار به ، وأداء حقوقه .

. يا ولدى . إن ربي علي كل شيء قدير ، وما كان عطاء ربك محظوراً

أنظر **. يا ولدى .** إلى نفسك وذاتك ، وتأمل ما بك من دقة التركيب ، وجمال الخلقة ، وقيام الأعضاء لوظيفتها التى خلقت لها ، وأسأل نفسك عن سر هذه الروعة الدقيقة .

من خلقها ، وأوجدها هكذا ؟

من خلق المفاصل والأعصاب للتثنى والحركة ؟

من أوجد القلب لصناعة الدم ودفعه فى الجسد ؟

من أوجد الرئتين لتنقية الدم وإخراج ما يفسده ؟

كيف تعمل الحواس والجوارح ؟

كيف تقوم الأعضاء الظاهرة والباطنة بوظيفتها وعملها؟

إن الله فاعل كل ذلك ، وحقه أن يعرف يقول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[1] .

ويقول سبحانه ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾[2] .

---

(١) سورة فاطر الآيات من ٦ إلى ٨ .
(٢) سورة الشمس الآية ٧ .

ويقول عز وجل ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [١] .

وانظر **. يا ولدى .** إلى الكون المحيط بك .

فمن هواء يملأ الأرض ، ويتحرك خلالها ، بلا نفاد ولا فساد ، حاملاً أسباب الحياة للكون ، وللإنسان ، ولسائر الأحباء **!!**

ومن ماء عذب فرات ، وآخر ملح أجاج ، ولكل منهما ضرورته ، وفوائده **!!**

من أوجد الماء ، والهواء ، على قدر معين ، وبعناصر خاصة ، ومن أجراهما في دوران وتتابع ، بلا توقف أو انقطاع ، وكأنهما فى حركتهما المتوازنة المستمرة يبحثان عن غايتهما ليقوما بالوظيفة التى كلفا بها ؟

من كلفهما بالسير والحركة ؟

ومن حدد لهما وظيفتهما ؟

ومن وضعهما فى إطار ما وجدا له **!؟**

إنه الله رب العالمين

---

(١) سورة البلد الآيات من ٨ : ١٠ .

والعلم بالله تعالى يحتاج إلى معرفته سبحانه وتعالى والفرق كبير بين العلم والمعرفه.

فالعلم فهم للحقائق ، وتحديد لرسومها ، وتيقن بوجودها ، أما المعرفة فهى العلم مع الإنفعال المؤدى إلى العمل والتطبيق ،. والعلم إثبات. للأصل ،. وتيقن به ،. والمعرفه تطبيق للأصل وإظهار لحركته وجدواه. والمؤمنون بالله تعالى دائماً يعملون الصالحات وفق المنهج الذى وضعه الله تعالى ، وحدَّد به الطريق المستقيم للمؤمنين العارفين الذين يقرنون الأقوال بالأفعال ، ويعلمون أن الايمان الحق هو ما وقر في القلب ، وصدفه العمل .

يخطئ الإنسان إذ يتصور وجوده مستقلاً عن غايته وعلته ، ومثل ذلك مثل من يتصور سيارة تسير بلا هدف أو يظن قصرا لا يصلح للإقامة ، أو يصنع طعاماً لا يؤكل فهذه تصورات لا تصدقها العقول ، فالسيارة تصنع للحمولة والركوب. ،. والبيت للإقامة والسكنى ،. والطعام. للتغذية والإشباع ، وهكذا كل موجود له علة يوجد لها ، وصدق الله

تعالى فى قوله ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[١] .

فكل شئ موجود موزون ، ولا عبث فى شئ خلقه الله تعالى أبداً .

نظام الفلك ، وحركة الكواكب ، والنجوم غايتها تتابع الليل ، والنهار ، وتنظيم حركة الوجود ، ومعرفة السنين والحساب .

وسير الشمس ، والقمر وظيفته تنوع المخلوقات وتحديد الليل ، والنهار .

وتعدد الوظائف يفيد اختلاف البيئات والألوان والأشكال ، والتوازن بين المخلوق وغير ذلك كثير ... وكله عند ربنا بمقدار يدل على الغاية ،والهدف من الإيجاد .

والإنسان مخلوق فى إطار كون الله ، وجد ليكون عبداً يعبد الله تعالى ، ويحافظ على حقوق خالقه بالعلم ، والمعرفة ، وبالفهم والتطبيق .

---

(١) سورة الحجر الآية ٢١ .

يقول الله تعالى محدداً العلة ،والغاية من خلق الإنسان :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[١] .

تلك هى رسالة الإنسان الواجبة ، وعليك أن تعى ذلك تماماً فهى فوز الدنيا والآخرة .

فأعبد الله في الإطار الممكن ، وأطع ربك في أقوالك وأفعالك ، وأحوالك كلها ، بوسطية خالية من التزمت والتنطع

صحب رسول الله ﷺ ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنه وكان غلاماً فأوصاه ونصحه وقال له : " **يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت علي أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف** "[٢] .

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦ .

(٢) سنن الترمذى . أبواب صفة القيامة ج٤ ص٨٤ .

ومعنى هذه النصيحة الغالية أن المحافظة على حق الله تكون بالتزام شرعه ، وتتبع حلاله ، وكل ما أمر به ، وتجنب ما حرم الله ، وما نهى عنه ، وذلك حفظ حق الله تعالى ، وهو التعرف عليه . الأمر الذي يؤدى إلى آثار حسنة فى الدنيا والآخرة .

يتصور بعض الناس أن التعبد لله تعالى ، والخضوع له سبحانه يحرم الإنسان من المتعة ، ويوقعه فى التعب ، ويضيع الوقت ، ويفوت المصالح ، وهم فى ذلك وما يشبهه واهمون ، وسوس الشيطان لهم ، وزين أمامهم الهوى ، وخدعهم فحسبوا أنفسهم يحسنون صنعاً .

إنهم واهمون ، مخدوعون ، فالعبادة إصلاح للنفس ، وتهذيب للسلوك ، ورقى بالأخلاق ، ومحافظة على كل خير ، وأينما توجد المصلحة فَثَمَّ شرع الله ! وأى مفسدة ظاهرة أو باطنة بعيدة عن دين الله تعالى .

إن العابد يشعر بلذة عمله ، وحلاوة إيمانه ، ويسعد وهو مقيم فى ملكوت سيده وفى كنفه ، لا يشقيه قلق ، ولا يتعبه

خوف ، فأمره كله بيد الرحمن الرحيم مالك الملك ، وهو على كل شئ قدير .

ومن أوامر الله تعالى ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾[1] .

وقد تسألنى : أريد معرفة حق ربىَّ بلا تعمق فى الفلسفات الكلامية ، أو استغراق فى الأدلة البلاغية ، أو الخوض في البراهين الكثيرة لئلا ينسي بعضها بعضا .

وذلك حقك **يا ولدى** بعدما بعد بك التخصص عن علوم الدين ، وأصبحت دراستك بين نبضات القلب ، ومجرى الدم ، وصرت تعلم الأعصاب والشرايين ، والمعدة ، وغيرها ، أكثر من معرفتك أحكام العقود ، والضمان ، والرهن ... لكن عليك أن تتقن معرفة أحكام العبادات بدقة ، فأنت مسئول عنها ، وهى أساس طاعتك لله

وبأدائها تحقق معنى العبودية لله رب العالمين .

---

(١) **سورة الأعراف ، الآية ٣١ .**

وأنت علي حق مره أخري لأن علم الكلام والفلسفة وأشباهما تبني عقلا، ولكنها لا تبني روحا ، ولا تربي وجدانا.

إن حق ربك **. يا ولدى .** أن تتقن بصورة مجملة أركان الإيمان المنحصرة فى الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره ، وشره ، حلوه ، ومره .

وتعرف أحكام العبادات من صلاة ، وصوم ، وحج ، وزكاة ، لتلتزم بها على الوجه المشروع ... وكلما عملت تعلم وتتعلم ، وبالعلم والعمل يقوي إيمانك : ويعيش قلبك الحب الإيمانى، الصادق، الذى يأخذك بكليتك لله رب العالمين ...

عسى أن تصير مصدر إلهام وتعليم فى هذه المسائل لإخوتك وأهلك ، وأبنائك فى المستقبل ، فتلك مسئوليتك ، وعساى أن أكون زرعتها فيك ... أداء لمسئوليتى .

لقد كنت **. يا ولدى .** اهتم بتعليمك العلوم الدينية وحفظ القرآن الكريم ، وبخاصة أنها كانت جزءا من الدراسات المقررة في بلد الله الحرام ... ولو بقيت تعرف ما تعلمته تكون مصباحاً مضيئاً لمن حولك .

(٥٠)

لقد عشت مع والدتك الصراحة ، والصدق ، وحب الخير ، ومداومة العمل والرغبة فى التجديد ، والاستفادة من الواقع بكل أمانة ، وتواضع ، ومحبة .

وكنت أتمنى معها أن يكون الموضوح ، والتشاور والمشاركة الوجدانية ، والحياتية بصورة شاملة كاملة ...

والحمد لله أن ما تمنيته مع والدتك أوجدته معك وإخوتك ، فعلمتك الصدق والوضوح ، بعيدا عن أى خفاء أو غموض ، وأخذت مشورتك ، وإخوتك ، في كل ما أريده وأنشده ، ولرأيكم أثره عندى . ليقينى أن الحياة الأسرية تحتاج للمصارحة التامة بلا أى استثناء ، ويكفينى من دينى أنه علمنى الوحدة التامة للأسرة ، فهو سبحانه خلق الزوجة من نفس زوجها ، وجعل الولد فلذة كبد الآباء وملك الآباء أبناءهم ، وما يملكون من مال ومتاع ، ولعلكم تشهدون بصراحتى ، ووضوحى لدرجة أنكم كنتم تأملون فى الستر والإخفاء فى بعض الأحيان .

. يا ولدى . حق الله ضرورة ملزمة ، وكسب أكيد ، وانتصار على النفس للنفس وللغير ، وراحة للبدن والروح

واستقرار فى الدنيا ، ورضى بالآخرة .... إنه باختصار هو السعادة كلها .

والعابد لا يضيع وقته هباء ، ولا تفوته مصلحة ما لأنه ينظم حياته ، ويقوم بواجباته جميعاً ، ويعلم أن العبادة شاملة لكل نشاط ، والعادات بالنية الصادقة تكون عبادة ، والمصلحة الذاتية فى حياة المسلم الصادق عبادة لله تعالى وعليك أن تنوى نية عامة أن تطع الله في كل حياتك ، ولو آمكنك أن تنوي هذه النية في كل عمل فهو خير لتكون عابداً في حياتك كلها.

والمسلم يعلم يقيناً أن كل شئ بقضاء الله وقدره ، ولذلك فهو حريص على أداء الواجب ، مع ترك النتائج لخالقه ، فلا يلحق به يأس أو قنوط ، ولا يتعلق بالأوهام والأساطير ... ويُقْصِر كل أمانيه فى طاعته لله رب العالمين .

وليس علي المؤمن أن يدبر لنفسه ، فالتدبير لله ، عليه أن يعمل ، وله أن يفكر فى إطار عقله المحدود بالزمان ، والمكان ، ومختلف الماديات الأخرى ، أما التدبير فلا ولقد رووا أن إبراهيم عليه السلام لما ألقى به فى النار جاءه جبريل عليه السلام

وسأله : ألك حاجه ؟

فقال له : أما إليك فلا وأما إلى الله فعلمه بحالى يغنى عن سؤالى[١] ...

والله بكل شئ عليم فأمر الله النار بالتوقف . وقال لها سبحانه وتعالى ﴿ يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[٢] .

واعلم **. يا ولدى .**

أن طاعة الله والتعبد له من صفات العقلاء الفاهمين الحريصين علي سعادة الدنيا والآخرة ، فهم ﴿ **ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ** ﴾[٣] وقد عاهدوا الله قبل مولدهم ، وهم فى عالم الذر ، يقول الله تعالى ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ** ﴾[٤] .

---

(١) التنوير فى إسقاط التدبير ص٥٢ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ٦٩ .

(٣) سورة الرعد ، الآية ٢٠ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ١٧٢ .

فقد عاهدوا الله قبل إيجادهم ، و عاهدوه مرة ثانية بعد بلوغهم حين ارتضوا الإسلام دیناً ، فهم يحافظون على عهودهم بدقة ، ولا ينقضون الميثاق أبداً .

إن العبودية الحقيقية هى أن يحيا العبد مع تيقن الألوهية ، والالتزام بكل شروطها ... وبذلك تكون الطاعة المطلقة ، والتسليم التام ، والخشوع الأمين فى الأعمال ، والأقوال ، والأحوال .

والعبودية لله تكريم للإنسان ، ورفعة لشأنه فى الدنيا والآخرة .

والإيمان الحق بالله هو أن تصدق بكل ما جاء به رسول الله ﷺ ، وما جاء به رسول الله ﷺ شامل كامل .

لقد جاء ﷺ بتنظيم شئون الحياة ، فأحل حلالها ، وحرم حرمها ، ولم يترك أمراً إلا وبين حكمه .

وربط الدنيا بالآخرة ليتأكد المسلم أن الموت انتقال من دار إلى دار ، ومن حال إلى حال كشأن الإنسان وهو ينتقل من حالة اليقظة إلى حالة النوم ، ومن مدينة إلى أخرى .

(٥٤)

وقارن رسول الله ﷺ بين الدنيا وبين الآخرة ، ليجذب الإنسان بإرادته إلى الله ، ويجعله يعمل لمستقبله الآخروى وهو في الدنيا .

فالدنيا عند الله لا تساوى جناح بعوضة !!

ومتاع الدنيا قليل ... قليل !!

وزينة الدنيا ، وزخارفها لا تستمر ، لأنها إذا أينعت نعت ، وإذا علت خلت ، وإذا أقبلت ولت ...

والدنيا ملأى بالعداوة ، والصراعات ، والأحقاد ... !!

والدنيا تملأ النفس بالغرور ، وتحرك الدوافع بالشهوات، وتحاول أن تسيطر على الإنسان وتستعبده بمفاتنها ، وزيفها ، وزخارفها .

والعاقل يعلم ذلك من تجارب الحياة ، ورؤيا الواقع .

والمسلم يعلم ذلك ... من وحى الله تعالى المنزل ، وكلام رسوله ﷺ المبعوث الآمين ، ولذلك يعيش فى الدنيا فاهماً لها ، مستفيداً منها ... يسخرها قبل أن تستذله ، ويجعلها مطيته التى يركبها قبل أن تسيطر عليه ... ودائما يناديها ... غرى غيرى .

إن المسلم يتيقن من نهايته فى الدنيا ... ولذلك تراه يعلم نهايتها الحتمية لأنه مؤمن بأن الموت حق ... !!

ويعلم أنه سيحاسب على كل عمل أداه فيها ، لأن السؤال حق ... !!

ويعلم أنه مجزى بعمله صغر أم كبر والنتيجة أكيدة لأن السؤال حق ، والجنة حق ، والنار حق .

ويعلم أن طريق الدنيا الموصل للخير كله خير ، ونبل وخلق ، وأن طريق العذاب ملئ بالأشواك ، والآثام ، والشرور .

إن الأمر جد لا هزل فيه ، حقيقة لا مراء معها ... فعش فى الدنيا فاهما لها ، وأقبل على الآخرة عاملاً لها ، وإياك والحرام ... وأى شئ يبعدك عن الله لتنال خير الدنيا وخير الآخرة بإذن الله تعالى .

وكن في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل ، واعدد نفسك في الموتى ، واستعد لذلك لأن الموت يأتى فجأة ، وكلما زاد استعدادك زاد يقينك، وعشت في كنف الله تعالى ... وإذا ما تحقق التوقع كان الصبر ، وكان التسليم وكان الرضى ...

فتيقن **. يا ولدى .** من هذا الأمر ليبارك الله لك في دنياك ، وعساه سبحانه أن ينجيك وإخوانك من أى مكروه في الحال والمآل.

واعلم **. يا ولدى .** أن دين الله واحد ،ومصادره واحدة ... فخذ دينك من مصادره وسطاً كما نزل... ولا تشرق مع فريق ... ولا تغرب مع جماعة ... إلا بعد الاطمئنان لمسلكهم ، ومعرفة توجهاتهم ... ولا تقعد مع أناس جعلوا الإسلام لهم دون غيرهم من الناس ... والله يرعاك .

كن **قدوة دينية** لغيرك تنير الطريق لهم ، وتهديهم للحق ، ولن يكون ذلك إلا بملازمة الخير ، والحياة بين منهج الله الذى رضيه لعباده الصالحين .

واعلم أن التدين الحق يحقق لصاحبه سعادة ، ورضا ، وهدوءاً ، وسكينة،ويربى عوامل الثقة مع الآخرين ، ويجلب النفع لك ، ولمن حولك من الناس ، ولذا كان الحرص على عبادة الله ،ومداومة التوجه للخالق ضرورة أرجو أن تعيش بها .

ـ ثانيا ـ

كمل ذاتك با لعلم القويم

والخلـق الكـريم والعمل المستقيم

. يا ولدى . كَمُل من الرجال كثيرون ، فحاول أن تلحق بهم ، ولا تتقاعس حتى لا تصير من نواقص الناس .

إن الفرق كبير بين الرجل الكامل ، والرجل الناقص .

فالكامل يتميز بالتقدير ، والاحترام ، والحب ، والرفعة تحيطه القلوب بالمودة ، وينزله الناس رائداً ، و قائداً ، وسيداً يُسْمَع قوله ويُطاع أمره ، ويسعى إليه الجميع .

والكامل يرضى الله عنه ، ويوفقه ، ويعينه ، ويهديه إلى الصواب والسداد ، ويخرجه من الظلمات إلى النور .

والكامل راض عن نفسه ، مستقر فى فكره ، مطمئن لعمله ، ينظر إلى الماضى فيسعد بما وفق فيه ، ويعيش الحاضر بمنهج الله فينشط بما يحس به ، وينظر إلى المستقبل فإذا هو غيب يرتاح له لأنه بيد سيده ، و حبيبه ، ومبتغاه ، وقد أوكله وتوكل عليه فى الاختيار والتوفيق .

وجوانب الكمال فى الإنسان المسلم معروفة العناصر واضحة الأركان ، وأهم جوانب الكمال أن تُقَوِّى عقيدتك فى الله تعالى ، وتؤمن بقضاء الله وقدره الشامل لكل شئ ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ (١) .

ومن أساسيات الكمال التميز بالعقل الهادئ ، والفكر المتزن الذي ينظر في كل أمر بروية ، ويتأمل في أى مسألة من كافة جوانبها ، ويسمع لمعارضه المختلف معه ويحلل كل ما يرى ويسمع ويعود لتجارب الآخرين ، ويوازن المسائل بأشباهها ليقرر بعد ذلك .

ومن أساسيات الكمال أن لا يكون الشخص جامدا عنيفا . وعليه أن يكون رحيماً ، ودوداً ، عطوفاً ، يعيش الحنان والحب ، ويملك الوجدان الطيب الذي يدفعه لمساعدة الضعيف ، والدفاع عن المظلوم ، ويصرفه عن التعالى والكبر والغرور .

ومن أهم أركان الكمال الإنسانى تنمية المعرفة الشخصية فى كل ما هو مفيد ، ومع كافة الجوانب التى

---

(١) سورة الرعد ، الآية ٨ .

تعايشها ، والمعارف عديدة ، فهناك المعرفة التخصصية حيث دراستك الطبية فهذه تحتاج منك أن تصل إلى أقصى المدى الممكن ، **والله يوفقك ما دمت تقدم جهدك وطاقتك** ، وتخلص فى سعيك، وعملك، وتقصد كل الطرق والسبل الموصلة للنتيجة الحسنة ، والهدف المرجو ...

وهناك المعارف العامة وأساسها معرفة الناس وهى تأتى بالاختلاط والتعامل ، وتتضح بالممارسة ، والخبرة .

واجعل للقراءة جزءاً من نشاطك فهى تمدك بما تحتاج إليه ، ولا تبخل عليك بنصح وتوجيه .

ومعرفة الناس ضرورة لتعيش معهم ، فهم أنواع وألوان ، وهم معادن كمعادن الأرض ، منهم الصدئ الردئ ، ومنهم المعدن النفيس ، ومنهم طاهر النفس والضمير ، ومنهم خبيث النفس والسلوك ، ومعرفتهم والإحاطة بهم تقى من خداع اللئيم ، وحيل السفهاء .

يقول الله تعالي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١ ﴾[1] .

---

(١) سورة النساء ، الآية ٧١ .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾[١] .

والإنسان عليه أن يتعامل مع الآخرين **صادقاً مع الحذر** ، ولا يبدأ بالثقة المطلقة فيضيع ، ولا يبدأ بالحذر المطلق فينعزل ، ولكن يتعامل بتوسط بين الثقة والحذر ... فبالوعى والفهم ستظهر حقائق الناس ، وبالتوكل على الله ، والتوجه إليه بالدعاء والطلب ، تتحقق الهداية والتوفيق ، والانتباه يفيد فى هذا المجال .

وإذا ما اكتشفت المخلص الأمين فاحرص عليه ، لأن المحافظة عليه ضرورة لازمة ... والارتباط به خلق كريم **والأمناء قليلون** .

واعلم أن معاشرة الناس تحتاج من العاقل إلى أن يكون صمته أكثر ، **واختلاطه أقل** ، ولقاؤه فى المفيد أولى وبعده عن غيبة الناس أشد ،وسعيه نحو المعالى أدوم .

لا تجعل **. يا ولدى . العمر يضيع هباء فيما لا يفيد** ولا تكن كشمعة تحترق والشمس ساطعة ، لأن في هذا ضياع

---

(١) سورة الكهف ، الآية ٢٨ .

للجهد ، وبذل للنفس بلا فائدة ، ولكن كن مصباحاً يضئ فى الليل ، ويدوم في النهار ، وفكرة تنفع الغير ، وتدفع الضر ، وأسوة تتبع وتقود ، وسيرة تذكر وتشكر .

ومن أهم كمال الشخصية فى الإنسان أن يتلاءم ظاهره وباطنه ، ويتوافق إيمانه وعمله .... وأن ينعكس العلم النظيف على السلوك القويم ، و يلتقي الخلق الكريم مع السجية السليمة ، ويعيش الإنسان متوازياً ، راضياً .

وبذلك تزهو الشخصية بفعلها ، وتتألق بسلوكها ، وتوضع فى مكانة تليق بها.

ومن كمال الشخصية أن تجعل جزءا من نشاطك للناس ... لأن المسلم إيجابى مع غيره ، والمسلمون بمجموعهم يكونون الأمة الواحدة التى يجمعها التعاون ، والنصح ، والعطاء ، والإنفاق ... وكل ما يوحد القلوب ، وينمى العواطف ، ويؤكد الترابط ، يقول ﷺ : " **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجه أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن**

ستر مسلما سترة الله يوم القيامة "[١] .

ويقول ﷺ : " **المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعي بذمتهم أدناهم ، وهم يد علي من سواهم "**[٢] .

ويقول النبى ﷺ : " **ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم ، وتعاطفهم ، كمثل الجسد ، إذا اشتكى فيه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى ، والسهر "**[٣] .

. يا ولدى . كن عالى الهمة ، واجعل مقصدك دائما القمة ، ولا ترضى بالدون ولا الدنية ، واجعل غايتك أن تعيش كبيراً ، واعلم أن ضآلة الهمة يلازمها الصغار والهوى ، والأمل الضئيل يؤدى بصاحبه إلى المستنقع والدنو .

واعلم أن السيول تنظف القمم ، وتأخذ ترابها إلى القاع فمن رغب القمة عاش النظافة والجمال ... ومن رضى بالقاع تلوث بمائه الآسن وفضلاته المتعفنة .

إن القمة تحتاج لهمة ، والمعالى توجد فى العوالى ... والرجال الأفذاذ قلة بين الناس ، لا ترضيهم صغائر الأعمال

---

(١) صحيح البخارى . كتاب المظالم . باب لا يظلم المسلم المسلم ج٣ ص١٢٨ .

(٢) سنن أبى داود . كتاب الجهاد . باب فى السرية ج٣ ص١٢٥ .

(٣) صحيح البخارى . كتاب الأدب . باب رحمة الناس ج٨ ص١٠ .

... وشأن العظيم العظمة ، ورمز العالم العلم ، والإنسان فى سموه كلمة وصفة ، وفى تسفله ضعة وهوان ومن رغب العلا عليه بالسهر ، ومن قصد البعيد تحمل مشاق السفر ، فكن **. يا ولدى** . فذا فى أمانيك ، وأعمالك وتوجيهاتك .

. يا ولدى .

اعمل ، واصبر ، وتحمل ، ولا يثنيك عن طلب العلا مشاق الطريق ، وموانع الإنطلاق ... وما أكثرها ، فهبوب الريح يبرق فى الأعالى ، والسيول تضرب فى القمم .

ومن يتهيب صعود الجبال ∴ يعش أبد الدهر بين الحفر

وتعامل **. يا ولدى .** مع أهل الثقة من الرجال ، وأبدأ فى معاملة من لا. تعرفه بأناه .. وحذر. .. ويقظة لتتأكد من طواياهم ، ونفوسهم ، ومقاصدهم ، واعلم أن سوء الظن عصمة .

. يا ولدى .

تخير الصديق قبل الطريق ، والجار قبل الدار ، والأمل قبل العمل ، والشريك الصالح قبل تشابك المصالح .

إن من تتعامل معه هو نقطه البداية لسرورك وفرحك أو لآلامك ، وحزنك ، فتخيره .

. يا ولدى. . كن بشوشاً ،. صادقاً،. أميناً ،. وتخير لصداقتك من تسعدك رؤيته ، ويرضيك صوته ، وتنشطك بسمته ، ويصدقك نصحه ،ومن يحب لك ما يحبه لنفسه ...

واعلم أن الله يبارك لمن صدقت نيته ، وحسن عمله ، وحافظ على حقوق غيره مثل محافظته على حقوق نفسه وأكثر ...

وكن أنت القدوة لمن تختار ... ولا تكن أنانياً تحب من غيرك ما ليس فيك لأن هذه عادة منفرة ... وسلوك انعزالى ردئ .

وقلوب المؤمنين هادية لهم بفضل الله ، فإذا حدثك قلبك عن إنسان فصدقه ابتداء ، واختبر بعد ذلك صدقه ، فلربما تراجعت عن إقرارك الأول .

وقدّر الناس بدينهم ، وخلقهم ، وسلوكهم ... ولا تتأثر بقرابتهم ، وسنهم ، ومظهرهم ، فبعْض الأقارب عقارب ، وكثير من البشر بتركهم تعاليم الدين بقر أو أقل .

ومن المعارف الأساسية معرفة الدين ، وجوانب هذه المعرفة عديدة فلابد أن تعرف أحكام العبادة التى تؤديها لله ... وهل يمكن أن تكون طبيباً وأنت لا تعرف الطب ؟!

كذلك لا يمكن أن تكون عابداً لله وأنت تجهل العلم بالعبادات .

الصلاة تحتاج منك إلى معرفة أحكام الوضوء ، وأحكام الصلاة من كافة النواحى .

فلابد أن تعرف أركان الصلاة ، وواجباتها ، وسننها ، ومبطلاتها ، وتعرف سجود السهو ، وأحكام صلاة الجماعة والجمعة ، والقصر فى الصلاة ، والنوافل ، والتهجد ، والضحى ... إلخ وكلها تحتاج إلى علم فاهتم به وكذلك أحكام الصوم والزكاة ، والحج ... إلخ .

واعلم أن هذا العلم نور ∴ ونور الله لا يعطى لعاصى

ولا أقصد العلم المتخصص الدقيق ، وإنما يكفيك منه الإيجاز المفيد الذى ينير لك الطريق .

ومن جوانب الكمال فى الشخص التخلق بالخلق الكريم وأساسه الصدق ، والأمانة ، والعفة ، والشجاعة ، والكرم والإيثار ...

واعلم . يا ولدى . أن الأخلاق الكريمة هى دعائم الإيمان فلا إيمان لمن لا خلق له ، والأخلاق هى أساس العظمة بين الناس ، وهى الطريق الوحيد المحقق للسعادة فى الدنيا والآخرة .

الأخلاق الكريمة مبادئ دينية ، ومفاهيم تربوية ، ومناهج سلوكية ، وتطبيقاتها عادية سهلة ، وظهورها فى حياة الناس علامة الحيوية ، والترابط ، والمودة .

هل يرى عاقلٌ ما أن الأخلاق تجمع كل هذا ، ولا يحرص عليها !!

وهل يضيع إنسان فاهم مفاتيح الخير والسعادة ، وهو قادر عليها !!

ففكر بعقلك فيما ترى ، وتخير الطريق الصحيح ، والزم الخلق الكريم ، وتجاوز عن الجاهلين ، ولا تندفع وراء النفس إذا أمرت بسوء ، أو زينت عدواناً ، أو عاشت حالة انفعال .

. يا ولدى .

قارن. بين رجلين ،. صادق. وكاذب. ،. أمين وخائن ، عفيف وساقط ، شجاع وجبان ، كريم وبخيل ، مؤثر وأنانى ... وانظر إليهما فى سلوكهما ، وتأمل نظرة الناس لكل منهما ،. وا.عرف. السبل التى يسلكانها ،. وا.لأ.هداف. التى يبغاها كل منهما ، والراحة النفسية التى يعيشها هذا وذاك .

تأمل كل هذا وغيره ، واحكم ، واستفد ، وتخير ما تراه ، ولسوف تدرك أن صاحب القيم ، والنبل يعلو ، ويشرف ، وصاحب السفه ، والضعة يترك ويهبط .

. يا ولدى . عليك بالخلق الكريم ،. اجعله سجية فيك وجبلة معك وذلك يتأتى بالملازمة الدائمة للسلوك الطيب ، وقهر النفس على تتبعه ... واعلم أن النفس أمارة بالسوء والشهوات ، محاربة للخيرات ، والشيطان طاقة تدفع لارتكاب الضرر .

واعلم . يا ولدى .

أن فى طبع كثير من الناس عادة تغرى بترك الخلق الفاضل من قبيل المعاملة بالمثل ، وإهمال العفو والتسامح

وذلك حين يخطئ بعض الناس عمداً قاصدين الإضرار فلا تكن من أصحاب هذا الطبع ، وألتمس لأخيك ألف عذر ... عسى أن يكون له عذر وأنت تلوم ! ... فاعذره ، وابتعد عنه بهدوء .

كل ذلك يحتاج من العاقل إلى مراقبة ذهنية عالية ليوقف ضغوط النفس والهوى ، ويضعف وساوس الشيطان وجنوده من الإنس والجن ، وبذلك تنمحي روح الأنانية والعدوان .

فخالف النفس والشيطان واعصهما

وإن هما محضاك النصح فانتبه

وعنى **. يا ولدى .** لقد عشت مع هذه العوامل ، وكنت **أضعف أمامها ابتداء** ، لكنى كنت حينما تهدأ الحال أفكر فى صمت وسكوت ، **وأعود لنفسى ناقدا** ، واعدل المسار وأقول : **بل الخلق الكريم خير مقاما وأحسن نديا** .

ومما كان يساعدنى على النسيان ، وعدم مقابلة السيئة بمثلها عطاء الله وفضله علىَّ ، الأمر الذى جعلنى أعيش

فى النعمة ، وأترك النقمة ، وألازم الشكر والطاعة ، وأتجنب الجحود والعدوان .

. يا ولدى .

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب

ولا ينال العلا من طبعه الغضب

لقد كنت أوثر الوحدة ، والبعد عن كل شخص يجلب لى المشاكل ، ولا يهتم إلا بمصالحه الشخصية ، وغاياته التى تبرر له وسائله .

إن المعظمة قمة عالية ، تؤلمها الشمس المتوجهة ، وتحركها الرياح العاصفة ، وتضربها السيول الهاطلة ، وترقبها الأعين الحاسدة ، وتنقدها النفوس الهامدة ، وعليها أن تحافظ على مستواها ورفعتها ، ولا يكون ذلك إلا بالخلق الكريم ، والفهم الواعى ، والصبر الجميل ، وعدم التسرع في رد الفعل والانفعال ، وإهمال مواطن السوء .

يعلو الإنسان بخلقه ، وقد تصيبه نوازل الدنيا ، ولكنه يبقى عالياً بين الناس يذكر ويشكر ، ويحمد عند الله ، ويجد

نفسه في مقام عال ، وثواب كريم يوم القيامة ، بعدما عاش فى الدنيا بين الناس فى حب ورضى ، واستقامة وهدوء .

وقد **يعلو الإنسان بالماديات مع سوء خلقه** ، ولكنه يبقى فى عقل الناس هملا لا قيمة له ، وأن سقط فسقوطه مؤلم رهيب عند الخالق ، وعند المخلوقين .

التزم بالخلق الكريم مهما كانت الأحوال ، ومهما كان المناس.، والرض. به،. ودم. عليه ،. والعلم أن. الله بتوفيقك وإعطائك الخلق الطيب قد رضى عنك ،. وهداك. للمنهج الحق ، والصراط المستقيم الذى يضعك فى الموضع الكريم .

. يا ولدى .

احترم فكر الآخرين ، وإن كانوا على خطأ ، لأنهم به مقتنعون ... ولكن عليك أن تبين لهم مناط الخطإ بهدوء ، وبطريقة لا تصطدم بمشاعرهم ، وتتهم عقلهم ... لأن الحق أبلج ، وإظهاره برفق كاف فى الهداية ... وكل بنى آدم خطاء ، فترفق فى التوجيه ، لأنك لو بدأت بالثورة على المخطئ لقابل ثورتك بمثلها ، وترك سببها الذى كانت من أجله الثورة ... بينما أنت تقصده ، وبذلك ينتقل الأمر إلى

موضوع جديد ، فيه الخصومة ، والنفور ، والعدوان بلا قصد ، ويترتب عليه الخطأ والضرر ، ولا تكون فائدة .

واعلم أن الضعيف يتمسك بخطإه أكثر ، لأنه يتصور من يعارضه متأثراً بضعفه ، ولذلك يتمادى فى رأيه حماية لنفسه ... فلتكن المرحمة بالضعيف أكثر ، والترفق فى معاملته أولى .

واعلم أن الضعيف إذا لم يقتنع تماماً فقد يخفى عنك خطؤه ، ويمتلئ بالحقد عليك ... والحسد لما أنت فيه ... لأنه يتصورك متكبراً ، متعالياً ... وينتهز الفرصة لإظهار رأيه فى صورة عدائية ، ولربما أظهر موقفه فى وقت لا تستطيع مناقشته وإقناعه بما ترى ... فلابد من حسن معاملة المضعيف ، وإقناعه بهدوء ، وإحساسه بقيمته ومنزلته ، وتجنب أى شئ يؤذى مشاعره .

ومن الحكمة أن تعامل الناس على قدر عقولهم ، لأن عدم الفهم يوصل إلى فقد الثقة ، والغموض يؤدى إلى النفور والبعد ، وترك الضعيف هادئاً مع نفسه خير من تركه ثائراً ،

لأن ثورته تتحول إلى كراهية وحقد ، ولئن تترك الآخر صامتاً ، خير لك أن تتركه عدواً محارباً .

وحاول أن تظهر لصاحبك نقاط الخير فيه ، وتمدحه بها ، ليعرف قيمتها ، ويحافظ عليها ، ويراك منصفاً ، صادقاً ، وصارحه بحبك له ، واجعل هذا الحب خالصا لله تعالى ، فربما يتأثر بصدقك ، ويحسن فى تعامله معك ، لأن النفس البشرية تتأثر بالمعاملة الحسنة . يقول الله تعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[1] .

لا تعاتب صاحبك فى كل شئ ، بل التمس له العذر واتركه يكتشف عيوبه وحده ... ولا تناقشه إلا إذا تمادى فى الخطإ ، وتصوره صواباً ، وبالهدوء سوف يقتنع بالصواب . وقد يصادفك من الناس أفراد ، يتصورون أنفسهم لا يخطئون أبداً ... فانصح لهم ما استطعت ... ولكن عليك أن تتوقف معهم عند مرحلة معينة ، عند ما تتيقن أنه لا جدوى من حديثك معهم ، راحة لنفسك ، وتوفيراً لوقتك وجهدك ...

---

(١) سورة فصلت ، آية ٣٤ .

وحتى لا يتحول نقدك إلى مصادمات شخصية تتأذى بها نفسياً ، وتؤثر على تعاملك السوى مع الناس ، وقد يلومك البعض وهو لا يدرى .

ويصعب الأمر كثيراً إذا كان هذا الصنف من الناس قريبا إليك ، ملتصقا بك ، وما عليك حينئذ إلا الصبر والدعاء ، وترك هذا الصنف لنفسه ، واتخذ لنفسك خطا لا يصطدم معه ... واسأل الله أن يهئ له رشدا ، وفهما ، ويهبك قناعه ، وصبراً ، ورضى .

ولا أنكر عليك أنى عشت هذه الظروف مع أناس قريبين منى مستقيمين خلقاً ، بعيدين عن الغلو منطقاً ، ملتزمين دينياً ، إلا أنهم يتصورون أنفسهم فوق الخطأ ، فرأيهم هو الحق ، وسلوكهم هو الصواب .... وأعمالهم هى الدين ... وهم بسبب طبعهم عاشوا في عزلة عن حياة الناس ، ولم يستفيدوا من غيرهم شيئا ،وقد بذلت نصحى بكل جهدى ... ولم أصل لشئ ...

وتذكرت قول حجة الإسلام الغزالى حين يئس من جماعة يعظهم قال :

غزلت لهم غزلاً رفيعاً فلم أجد

لغزلى نساجاً فكسرت مغزلى

ولذلك أقول ما أقوله لك ... فعليك بنفسك ودع عنك خطأ الآخرين ، وكل ما أقوله لك أن تجعل شعارك قول الشافعى عن رأيه ورأى الآخرين إذا تعارضا ، يقول ﷺ : " **رأيى صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب ...**

ولقد كان الأئمة رضوان الله عليهم يستدلون ، ويتحدثون ، ويفتون ، ويسلمون في النهاية بأن العلم لله رب العالمين ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم " .

. يا ولدى .

إذا أحببت مدح إنسان ، أو مكافأته ، فسارع بذلك لتكون للمكافأة قيمة عنده ، لأن تأخير الجزاء يفقد العمل معناه ، ويبعده عن سببه ، وبذلك يضيع أثره التربوى .

وإذا فاجأك موقف ما فلا تتسرع فى اتخاذ قرار تجاهه لأن المفاجأة تشل جزءاً من الإدراك ، وتوجد دهشة تربك

الفكر ... ولكن تمهل ، وفكر ، وناقش ثم اتخذ قرارك بعدها فى تؤده ، وأناة .

إن المؤسسات العلمية ، والثقافية ، والاقتصادية ، تقوم على عدد من الرجال ، والأشخاص ، الذين يقومون بإدارتها فى صورة مجلس يجتمع ، ويناقش ، ويحاور للوصول إلى القرار السليم ... فاجعل من نفسك لنفسك مجالاً للتفكير وموطناً للمراجعة .. ليكون معك الصواب .

. يا ولدى .

اجعل اختيارك لمن تتعامل معه قائماً على أساس التدين الصادق ... لأن الإنسان المتدين يراقب الله تعالى ، ويخاف منه ... ويعاملك على أساس طاعة الله تعالى ... وهذا أمر يدفعه إلى الصدق ، والأمانة والإخلاص ، والاستقامة لله تعالى أصلاً ... وأنت مستفيد بذلك .

أما الذى لا يعرف الله ... ولا يحافظ على حقوقه فهو انتهازى أنانى ، يعمل لنفسه فقط ... ولا يهمه غيره ... وهناك فريق من الناس يخلصون بعاداتهم لدنياهم ، ولا دين لهم ، وهم قلة ... ومع ذلك فليس هناك ضامن لاستمراريتهم

وتمسكهم بالمبادئ والقيم ، لأن ضمان الاستمرار يكون فى العبادة لا فى العادة ، والنجاح يكون مع قيم الدين الثابتة وليس فى عرف الناس المتقلب .

إن الرجل المتدين لا يضعف لدنيا ، ولا يخالف لمعصية ، ولا يعتدى على أحد ، لأن الله عليه رقيب عتيد ... وهو عبد لله يرجوه ويخشاه .

. يا ولدى .

إذا وضعتك الظروف فى تجربة مع أحد من الناس ، ورأيت فيه خداعاً ، وخللاً فتجنبه بهدوء ... ولا تتعامل معه بعد ذلك ، لأنه سيعود لمثل ما بدأ به ، واتخذ قرارك فى مثل هذه الموقف بحسم ، مستفيداً من تصرف رسول الله ﷺ الذى واجه به المنافقين ، الذين اعتذروا عن الخروج معه للقتال بأعذار كاذبة ، حيث قال لهم ﷺ حينما أرادوا أن يخرجوا معه فى مرة تالية كما ذكر الله تعالى فى كتابه ﴿ **لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ** ﴾ [1] .

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٨٣ .

. يا ولدى .

إذا صافيت إنساناً ، وصدقته ... وصادقته ، وكنت معه في شدائده ، ثم وجدته عليك عند مواطن الحسم فاعلم أنه غير جدير بصداقتك ... وخير لك أن تبتعد عنه ... فإن كان تعاملك معه ضرورة حياتية فتحمله على حذر ... **وكم من بلاء يعيش مع الإنسان فى الدنيا ولا يستطيع الفكاك منه** ومن المعلوم أن الدنيا لا تخلو من المصائب والأكدار **!!!**

. يا ولدى .

اعلم أن ظروف الناس ، وصعوبة الحياة ، والبعد عن الدين ، ملأت الدنيا بالشعارات ، وجعلت الناس يتظاهرون بما ليس فيهم ... فلا يغرنك ما تسمع ولا تصدق كل ما يقال ... وكن فطنا عاقلاً ... واجعل تعاملك مع الله ... وحافظ على ما يرضيه ... والتزم مع الناس بما أمر الله تعالى به .

واعلم أن كل ما يقع لا يقال ، وكل ما يقال ليس صحيحاً ، وما صح ظاهره قد تبطل علته، ودوافعه ، ولذلك

تدبر فيما تسمعه ، ولا تصدق كل متحدث ولا تحكم على ما تسمع بظاهره ، فعسى أن يكون لصاحبك عذر وأنت تلوم .

واعلم أن الصمت خير ، وكثيراً ما حل الصمت مشاكل عديدة ، لأن الحدث فى أوله نار مشتعلة ... والنار تخمد على مراحل ... فإذا ما قابلت موقفاً شاقا بصمت فإنه يهدأ ، وينمحى شيئاً فشيئاً حتى يزول ، وكأنه لم يكن .

وقد يحتاج الصمت إلى الابتعاد عن موطن الحدث ، وهجر المشاركين فيه ، ولا مانع من ذلك لأنه الحل الأمثل لمواجهته .

إن السلبية علاج لبعض المواقف فى بعض الحالات كما أن الإيجابية علاج فى مواقف أخرى ، وكثيراً ما عالج الزمن أموراً ما تصور أحد لها نهاية .

. يا ولدى .

اجعل لنفسك بطانة تودع فيها سرك وشواغلك ، حتى لا تكتمها فى نفسك فتؤذيك ، أو تذيعها لمن لا يصونها فتضرك ... وجرب هذه البطانة قبل أن تثق بها لأنها المستودع الذى تأمنه ، والمحضن الذى يشاركك ما يهمك .

. يا ولدى .

فى مشاكل الحياة اجعل لنفسك سراً حتى يحتار من يخاصمك ، وهو يبحث عن غرة فيك ، لأنه لو علم ما لديك سهل عليه أن يتخير فى خصومته ما يضرك به .

. يا ولدى .

إحذر عدوك مرة ∴ واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق عدواً ∴ فكان أعلم بالمضرة

. يا ولدى .

إن أكثر مداخل الشيطان يكون فى الآمال الكبرى ، وبين الأرحام المتقاربة ، وفى ثنايا المصالح المشتركة ، ومع الأحلام القريبة ... فخذ حذرك الشديد فى هذه القضايا ، وفى أمثالها حتى لا يدخل الشيطان معك ، وأكبر الحذر أن تذكر الله ، وتستعيذ من الشيطان وأعوانه ، وتلتزم بحكم الله فى كل مسألة ، ففكر فيها فحكم الله عدل كامل ، والرضا بقدر الله نور يرضي ، وهاد ينجي ... وطمأنينة تؤدى إلى الفوز والفلاح .

. يا ولدى .

ضع نفسك دائماً مكان من تتعامل معه ، وتخيل ما تنتظره من صاحبك ... وما تتمناه منه ، وقم أنت له بما تمنيته منه ، واعلم أنك حينئذ ستلقي ما رجوته ... لأن لكل فعل صدى فى النفس يدفع إلى العمل والسلوك ... والقلب الراضي يدفع إلى الأعمال المرضية ... وإنما لكل امرئ من الجزاء ما نوي ، واعلم أن الحسنات يذهبن السيئات ... والقلوب الراضية تتلاقي وتتعاون ، وما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف .

ـ ثالثا ـ

حافظ على حقوق الآخرين

الآخرون **. يا ولدى .** بشر مثلك تماماً فحاول أن تحافظ على حقوقهم وتقوم بالواجب تجاههم .

وحقوق الناس لا تحتاج لمعارف وقراءات ، ولكنها لبساطتها تحتاج منك أن تعود لنفسك ، وتتأمل الصورة التى تحب أن يعاملك الناس بها ، لأن هذه الصورة هى حقوقك على الناس ، وهى فى نفس الوقت حقوقهم عليك .

إن الإنسان لا يمكنه أن يعيش وحده ، ولا يمكنه أن يعيش مع الناس ، وقد أهملهم ، وألغى حقوقهم ، ولا يمكنه أن يعيش مع الناس آمناً وهم له كارهون .

لابد من أداء الحقوق لأصحابها لتكون محل احترام الناس ، وموطن أمل لهم .

وأول من له حق عليك أبواك ، فهما سبب وجودك ، قدما لك أسباب الحياة بكل الحنان ، والمودة ، وبلا أى مقابل تصوروه .

(٨٢)

هل تذكر يا ولدى أن يوم مولدك كان يوم معاناة لى ، بسبب حرصى على توفير جو مريح لك ، وأنت لا تدرى .

لقد كان يوم مولدك هو يوم امتحان أمك فى دبلوم الدراسات العليا ، وقد اقتضى هذا منى أن أذهب إلى الكلية وإلى الطبيبة ، وإلى المستشفى ، وإلى الكلية ، لإحضار لجنة خاصة لامتحان والدتك فى المستشفى ، وقد تم ذلك بعد أربع ساعات من المشى المتواصل ، فى رمال مدينة نصر ، يوم أن كانت صحراء خالية ، فيها عدد من العمارات المتناثرة هنا وهناك .

ولا تقل أين السيارة ؟

أو أين التاكسى ؟

لأن ذلك يومها كان فوق الطاقة لا أستطيعه ، وكان البيت بعيدا عن الطريق العام ، حيث توجد السيارات والمراكب فيه ، والذهاب إلى هذه الأماكن سيرا على القدم أيسر وأسرع من البحث عن سيارة وعربة .

وبعد انتهاء الامتحان تعرضت لعملية نصب أجهدتنى لمدة ثلاث ساعات أخرى أو أكثر ... ولم يكتف النصاب

فيها بالخسارة المادية ، بل أضاف إلى أخذ المال تكليفى بالحركة والعمل خلال هذه المدة لإتقان خطته وحيلته .

والحمد لله فقلد أعاننى ربى ، ورزقنى التحمل والصبر مع السرور والفرح ، وكان ذلك مودة وحباً لمقدمك السعيد .

هل تتذكر ذلك ؟... أم أن ما يبذله الآباء لا يقدره الأبناء !!!

هل تتذكر مدى الحرص على إرضاعك ، والبحث الدائم لشراء ما يلزمك رغم ضيق اليد ، وقله الموارد ؟

هل تتذكر مدى سعادتنا لحركة يدك أو رجلك ؟ أو أي عضو فيك ؟

يوم أن نطقت بحرف واحد كان عيداً أخذنا نتحدث عنه ونحكيه للناس ، كأنه اختراع نادر فى البلاغة العربية !!

كنا نتألم إن تخيلنا ألمك ، ونسعد إن نجحنا فى عمل حقق عائداً لك ، ولإخوتك !!

كان بكاؤك وأنت رضيع مشكلة لا نعرف سببها ، ومع ذلك لا نهدأ إلا إذا هدأت !!

كان الحديث عنك شاغلنا ، والاطمئنان المستمر عليك

أكبر همنا ، ساعتها لم تكن تدرى شيئا ، ولا تحس بأحد حولك ، لقد بذلنا كل شئ ممكن ، فهل تذكره ؟

لم أتحمل هذه المتاعب وقتها طمعا في خيرك ، أو خوفا من قوتك ، أو رغبة في السيطرة عليك ، لأنك كنت وقتها لا تعى ، ولا تدرك ، ولا تستطيع شيئاً ، وليس لك من الأمر شئ ... ولم نخطط لمستقبل بعيد ، لأن المستقبل بيد الله ، وكل همنا هو المحافظة عليك .

هل تتذكر ذلك ؟ أم أن الأيام تمسحه ، وتنسيه .

وليذكر إخوتك معك أن هذا الأمر تكرر معهم جميعا ، وكنا نتحمل العناء والمشقة مع كثرة العدد، وزيادة الأعباء...

هل تذكر يوم أن أصيب " **عبد الرحمن** " بالإغماء ، وتصورنا نهايته ، وأسرعنا به إلى مستشفى الملك فيصل بمكة ، وأنت جالس بجواره تبكى . فلما سألتك عن سبب بكائك قلت لى: **يموت بعد أن بدأ يلعب معى** ... فلما تحرك معك أخبرتنا فرحا بأنه مازال حيا وأسرعنا به إلى المستشفى وشفاه الله تعالى .

. يا ولدى . هذه أمور لا يصح أن تنسى ، ولا استجدى بها عطفا ، أو شفقة ، وإنما أعرفك وإخوتك بالواجب المفروض عليكم ، وشكرا لربى لإلزامه الأبناء بحقوق الآباء ، ومحاسبتهم على أدائه .

ولئن نسيت **. يا ولدى .** فسيذكرك أبناؤك بنا ساعة أن تجد نفسك تعيش هذه الحالات معهم ، وحينئذ سوف تنادى بقول الله تعالى ﴿ **وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا** ﴾ فقد سمعتها من غيرك ، وهو يذكر أبويه حين يرى أبناءه .

وتذكر **. يا ولدى .**

أن برك بوالديك دين سوف يرد إليك ، فاحرص عليه واحذر أن تغتر بنفسك عند كبر الوالدين ، أو تنظر إليهما نظرة التخلف ، وعدم الدقة ، وتشتد عليهما ، إذا بلغا عندك الكبر ... إحذر ذلك حتى لا تعيشه أنت ... واعلم أن شدة الثقة بالنفس أمام الوالدين أكذوبة يقع فيها الكثير .

إن الولد صناعة أبوية بأمر الله .

فكيف يتعالي المصنوع على سببه وعلته ؟

وكيف يهمل الموجود من جعله الله أداة وجوده ؟

وماذا يأخذ الآباء من أبنائهم ؟

ولماذا يبخل الآباء على أنفسهم ؟

ولماذا يحرصون على المال وهو كثير ؟

إنه للأبناء ولمستقبلهم فقط ، ولذلك قالوا : الولد مجبنة مبخلة أبيه .

وقد فعلتها **. يا ولدى .** فاذكره لإخوتك ، وتواصوا بتذكره وعدم نسيانه أبداً لتحقيق الخير لأنفسكم قبل أن يكون لغيركم ، لأن ما يفعله الأبناء مع آبائهم يتكرر معهم من أبنائهم .

وإخوتك **. يا ولدى .** قطعة منى مثلك تماماً ... وكلهم فروع شجرة واحدة ، لها جذر واحد ، ونبت واحد ، وثمرة واحدة ، فحافظ أنت وإخوتك على وحدة الشجرة ليبق الجذر نامياً ، وتستمر الثمار ناضجة .

وتجنب بكل حسم هبوب المريح ، وما أكثرها ، وما أخطرها لأنها تؤذى الشجرة ، وتقلعها أحياناً ، وتفسد الجو المحيط بها ، وتضيع عليها الثمر والتكاثر ، وتفقدها روح الجمال والزينة .

إن الفرع لا يكون كالشجرة أبداً لأن الجزء لا يساوى الكل عند العقلاء ، ولذلك كن حريصا على عدم التفرع والتجزؤ .

إن جزء القوة وهو مع الكل قوة أكبر ، وحين انفصاله لا يكون شيئا ، واعلم أن تماسك الفروع له أعداء كثيرون فشيطان الإنسان عدو ... وصوت الزوجة عدو ... وحب الأبناء عدو ... والإحساس بالذات عدو ... وإنكار الآخرين عدو ... والحسد ، والحقد ، وقرناء السوء كل ذلك عدو ، يدعو إلى الفرقة ، والتجزؤ ... فخذ كل الحذر من هؤلاء الأعداء .

. يا ولدى . أنتم أغصان شجرة واحدة ، أيها يكسر يضعف غيره ، والفرد لا يستغنى عن غيره ، فالأسد يحتاج لمكان يناسبه ، والسيف يحتاج للغمد الذى يحفظه ، وقاطع الأخوة يقطع نفسه ، ولعن الأهل لعن للذات ، ورامى العشيرة يصيبه سهمه ...

اعلم ذلك ، وتجنب مع إخوتك تناثر الفروع ، وإضعاف الشجرة .

واعلم **. يا ولدى .**

أن أهم عامل لتماسك الفروع هو إحساسهم بالأصل ، وتحديد حقوق كل فرع ، والالتزام بها ، والقيام بالواجب بدقة ، مع الأهمية القصوى لاحترام الكبير ، والعطف على الصغير ... وضرورة استماع الآراء فى أدب ، وخلق ، وترحيب .

ويا ليتك **. يا ولدى .**

حين تصل مع إخوتك إلى مبالغ الرجال اصنع معهم **برلماناً شورياً ، لمناقشة أى مسألة تحتاج لنقاش** ... فى روية ، وهدوء ، واحترام ، وتقدير .

واعلم **. يا ولدى .** أنه

تأبى العصى إذا اجتمعن تكسراً

وإذا افترقن تكسرت آحاداً

وأن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ، وإذا رأيتم شذوذاً من أحدكم فليشترك الجميع فى مؤاخذته والعتب عليه ... وليتكم تصنعون **لائحة تحدد الواجبات ، وتنظم الأدوار ، وتقدر المسئوليات** ... وتبين طريقة المؤاخذة ، وتذكر نتائج

التقصير ، ومعاقبة من يستحق العقاب ، وتحديد نوعية هذا العقاب ، ولا يستكثر أحدكم الله توفيق الله معه على إخوته فعطاء الله للجميع ... وإنما ترزقون ، وتوفقون بضعفانكم .

. أبنائى .

خذوا العبرة من غيركم ، وبخاصة من الذين فشلوا بعد جهد وعمل ... وتذكروا فضل الله ، وتوفيقه ، وآمنوا به ، وأطيعون .

واعلم **. يا ولدى .** أن الموتى يدركون أعمال الأحياء ويدركون نشاطهم ، فاستقيموا على نصائحى حتى أسعد فى قبرى ، واستريح حيث أكون . وسوف أحزن كثيراً إن دب الخلاف بينكم .

. أبنائى . أطيعوا توجيهاتى ما أطعت الله فيها ، وتأكدوا أنها خالية من الغرض ، بعيدة عن أى أذى ، وكل أملى أن تعيشوا إخوة متحابين ، فى إطار أخوة مسئولة ومتحدة ، وبخاصة أن أعمالكم فى جملتها لا تقبل التجزؤ ، وتضيع بالانقسام .

إن كل أحلامى وأمنياتى فى حياتى ، وبعد مماتى أن تبقى الشجرة يانعة بفروعها ، وأوراقها ، فى صورة شركة مساهمة ، تمثل الأسهم الشركة ، وتكون الشركة عنواناً للأسهم كلها ... وفى إطار الشركة المنظمة بلوائح واضحة تبقى الشجرة بوحدتها ، ونموها ، ويناعتها ، وإثمارها ... ذلك هو أملى ... والأمر لله .

ولا تنس **. يا ولدى .** حقوق زوجتك وأبنائك يوم أن يرزقك الله الزوجة ، ويهب لك الأبناء .

فكن بزوجتك رحيماً ، رقيقاً ، وعاملها برفق وإخلاص وأشركها معك فى سرك وعلانيتك ، وأفعل معها ما يجب أن تراه منها .

هل تحب أن تعاملك زوجتك كرجل غريب ؟ تكتم عليك أمرها ، وتخفى سرها ، وتبنى حياتها ، وأحلامها ، وأمانيها بعيداً عنك ، وتجعل سرها لغيرك ... تسمع نصحه ، وتلتزم بآرائه ، وتضعه فى منزلة أعلى منك ، وتقدره بصورة لا تنال منها شيئا .

طبعاً أنت لا ترضى ذلك ، فاحذر أن تفعله معها ، إربح مودتها بمودتك لها ، وابن بيتك على الحب والعطف ... وكن أنت قائد المسيرة .

. يا ولدى . يوم أن يرزقك الله الأبناء كن لهم أخاً وصديقاً مع كينونتك أباً رءوفاً ... لا تهمل لهم حقاً ، واصنع من أسرتك الصغيرة شجرة جديدة ، ذات أغصان عديدة ، لتمتلئ الرياض بالأشجار ، ويفوح الجو بعطر الزهور والرياحين .

اهتم بتعليم أبنائك وأشرف على سلوكهم ، وأبعدهم عن رفقاء السوء ، ولو كانوا من الأقارب ، واعلم أن رفيق السوء ينشر سوءه سريعاً ، وهذه نقطة هامة فى التربية فلاتهملها لتدوم سعادتك بأبنائك .

وتذكر **. يا ولدى .** أن مطالب الأولاد تختلف عن مطالب البنات فلا حظ ذلك فى إطار مسئوليتك كأب ... إن البنت تحتاج إلى العطف ، واليقظة ، وكثرة النصح والتوجيه ، أما الولد فإنه يحتاج إلى الخشونة والتقدير ... وكلاهما

يحتاج إلى وجود الأب ، ورعايته ، وقوته ، وتفهمه ... فلا تهمل دورك مع أبنائك .

وتذكر من حولك من الناس ... فلكل إنسان حقوق ، قرب أو بعد ، عاملته أم لم تعامله .

فكر جيداً قبل أن تعامل أحداً ، وتدبر جيداً تصرفات الآخرين تجاهك ، واعلم أن قلوب الرجال مغلقة فى صدور مقفولة ، يظهر سرها أحياناً بين ثنايا الكلمات ، واتجاهات العين ، وتعدد المواقف ، فكن حذرا ، وكن حريصا على حقوق الآخرين ، لأن الله تعالى لم يتركها لاجتهادات العقل ، وحركة الأحداث ... وإنما حددها وحث عليها ، وربطها بطاعته ، ووعد عليها الثواب الجزيل فحافظ عليها فى فطنة وذكاء .

فللقريب حقوق ، وللجار حقوق ، وللزميل حقوق ، ولكل من تعاشر وتعرف حقوق ... ولابد من معرفة هذه الحقوق ... والمحافظة عليها ، فلا تهمل هذه الأمر ... واسأل نفسك دائما عن حق كل إنسان تلقاه وتتعامل معه ، وأدّ له ماله من حقوق .

وهذه الحقوق ليست مادية بالضرورة ... لأن الكلمة الطيبة صدقة ، وتبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وإسداء النصح صدقة ، وحسن اللقاء صدقة ، ومشاركة الناس فى أعبائهم وأحوالهم صدقة .

واعلم أن الإنسان كلما كثرت أعباؤه كثرت أخطاؤه ، وكلما زاد عطاء الله له تضاعفت مسئولياته ، وكلما تفتحت أمامه أبواب الحياة كلما تنوعت اتصالاته .

فإذا أتاك فضل الله ، وكثر عطاؤه معك ، ومع إخوتك فانتبه ، واحذر الخطأ ، ومتن الصلة ، وقدر للمسئولية قدرها .

. يا ولدى .

إن الإنسان قليل بنفسه كثير بإخوانه ، فاحرص على أن تكون مع الناس صادقا ، متعاونا ، وأخا كريما يجمعكم حب الله ورسوله ، وحبكم لإخوانكم ، ومعاشريكم ، ليستمر التعاون بينك وبين الناس على البر والتقوى .

<u>أبنائى</u> ....

هذه وصايا لكم جميعاً ، قصدت بها الابن الأكبر ليكون قدوة لكم ، وقد عنيتكم بها لتعيشوا حياة جادة ، وراقية .

فستذكرون ما قلته لكم ، وعساكم أن تنتفعوا به ...لقد كنت أنوى الاستمرار فى الحديث إليكم إلى نهاية عمرى ... لكن تقلب الأوضاع ، ووفاة أخيكم " **عبد الله** " قطع كلماتى، ودفعنى إلى الاكتفاء بما كتبت .

أسأل الله تعالى :

- أن يغفر لى ، ويجعل كلماتى مقبولة لديكم .
- وأن يرزقكم الهداية ، والتوفيق ، وحب الخير .
- وأن يملأ قلوبكم بالحنان ، والمودة لتكونوا أخوة أصفياء .
- وأن يهزم عدوكم ، وينصركم على كل من يقصدكم بسوء .
- وأن يرزقكم العفاف ، والتقى ، والستر ، والغنى .
- وأن يهبكم ذرية طاهرة صالحة ، مؤمنة .

- وأن يريحنى فى قبرى بما يبلغنى عنكم من عمل .
- وأن نلتقى فى مستقر رحمة الله فى الآخرة تحت ظل عرش الله تعالى .

آمين ..... آمين ..... آمين

(٩٦)

ـ الـــوداع ـ

وعدنا إلى القاهرة مع نهاية عام ٢٠٠١ من الهجرة وبدأ استقرارنا فيها بعد غربة امتدت اثنين وعشرين عاما قضيناها سويا حيث كنت أعمل ووالدتكم ، بجامعة أم القرى والحمد لله فقد عشنا هذه المدة في رحاب حرم الله ، مجاورين للبيت الحرام .

عدت إلى القاهرة . وقد تغيرت معالم كثيرة في بطاقة الأسرة حيث أثمرت الشجرة فروعا يانعة ، وأخذت الفروع تتحول إلى شجيرات جديدة متصلة بأصلها الأول ، فتزوج محمد ، ومنال ، وأمل ، وكونوا أسرا لها حياتها ، ومعاشها ، وذاتيتها ، وبنوها ، وبناتها ... وأخذ التلاصق الأسرى يقل شيئا فشيئا .

وبعد مدة من الاستقرار لحق بالمتزوجين محمود وعبد الرحمن ، والحسن ، والحسين ، أسأل الله لهم جميعا الاستقرار ، والهدوء ، وراحة البال .

وأسأل الله للجميع أن يرزقهم الزوجة الطيبة ، والذرية

الكريمة الصالحة .

عشت في القاهرة راضيا بقدر الله تعالى ، سعيدا بعطائه وتوفيقه ، معترفا بما أمدنى به من نعمة ، وخير في المجالات الدينية ، والعلمية ، والعملية ، والأسرية .

ورغم أنى عاصرت موت **والدى** ، **ووالدتى** ، **وثلاث من أخواتى البنات** كلهن أصغر منى ، وقد تألمت لفراقهم جميعا إلا أنى لم أتصور أن أصاب في أحد من أبنائى ، وجرت تصوراتى على أساس سلامة الجميع ، وعلى أن حياتى ستشاهد حياتهم ، وأن موتى سيكون قبلهم لأعيش سعيدا بجمعهم ، وأسبقهم لأكون في انتظارهم عند ربى الكريم ، وبذلك لا أرى فى أبنائى لوعة الفراق ، وصعوبة الموت .

إلا أن الرياح جرت بما لا تشتهى السفن ، فكان أن فجعت في ليلة من ليالى رمضان عام ١٤٢٧ هـ[١] بموت

---

(١) وكانت تلك الليلة هي ليلة التاسع من رمضان ، وذلك أن أصغر أبنائى " عبد الله " رحمة الله تعالى بعد أن أدى صلاة العشاء في مسجد الأرقم وأدائه بعض صلاة التراويح ذهب مع زميله " أحمد " لإحضار زميل ثالث للمذاكرة من أجل امتحان اليوم التالى ، فوقعت الكارثة واحترقت العربة به وبزميله قبل أن يصلا إلى زميلهم الثالث .

ابنى " **عبد الله** " الأصغر في حادثة مروعة ذهب ضحيتها وزميله " **أحمد سعيد** " .

لقد كنت أتصور الموت يبدأ بالأكبر في الأسرة فإذا بالقضاء يقدره في الأصغر ، ويموت عبد الله ، ولكل أجل موعد وكتاب .

" **عبد الله** " الذي يتميز برغم صغر سنه بعقل الكبار ، وشهامة الرجال ، والتفانى في خدمة الآخرين .

" **عبد الله** " الذي أودعت فيه أملى ، وبذلت له جهدى حتى حفظ القرآن الكريم ، وحافظ عليه ، وكنت أدفعه لله يؤم المصلين ، ويصوم رمضان ، ويقيم الليل ، ويدعو للفضيلة أينما كان ، وكيفما كان .

" **عبد الله** " الذي كان أعطر أبنائى ، وألبسهم ، وأحرصهم في إظهار نعم الله عليه في النفقة ، والحركة ، والحياة .

" **عبد الله** " الذي تميز بالحسن ، والجمال في أدب ، وخلق .

" **عبد الله** " البار بوالديه ، صديق الكبار والصغار ،

المعين لأخواته وإخوته وهم في بيوتهم بعيدين عنا .

" **عبد الله** " الذى كان يجمع الصغار حوله يلاعبهم ، ويسمر معهم ، ويوجههم ، ويعلمهم .

" **عبد الله** " الذى تنبأت له وغيرى بالسبق الذهنى ، والعقل العبقرى ، وسرعة البديهة ، والتفوق فى الحياة .

قضى الله أن يغادر " **عبد الله** " هذه الدنيا في وقت مبكر ، ولا راد لقضاء الله ، وآملى في الله أن يخصه بكريم فضله ، ويجعل آخرته خيرا من دنياه ، وأن يؤنس وحشته ، وينور قبره ، ويسكنه جنته ، ويخصه بأهل كرام من النبيين والصديقين والشهداء ، ويخصه بالحور العين فى جنات النعيم .

قبل وفاته بيوم واحد فقط ، رأيته يخرج من البيت متأنقاً جميلاً ، فقلت له : **يا عبد الله احذر الفتنة ، وعش مع الله ، والقرآن** .

فقال لى : **اطمئن يا أبى فأنا رجل مسلم ، وأنا ابنك** .

فقلت له : **هل تحافظ على حفظك للقرآن الكريم ؟**

قال : **نعم** .

فقلت : **هل امتحنك ؟**

قال : **نعم وأنا مستعد .**

فقلت : **سمع من حفظك سورة (ق) .**

فقرأها بصوته الجميل بلا أدنى خطإ ، فدعوت له وسررت به ، إلا أنه سرور لم يدم طويلا ، فقد فارقنا إلى الله تعالي بعد ذلك بيوم واحد .

في حياة " **عبد الله** " رحمة الله عليه كنت أحذره دائما من مفاتن الدنيا ، ورفاق السوء . فكان يطمئننى ويريحنى .

كنت أعرف استقامته ، وحسن خلقه مع الجميع ، ولم يكن يشغلنى إلا فتنة صواحب يوسف من النساء ... فلما مات أخذت اتقصى حياته من زملائه ، ومعاشريه ليطمئن قلبى عليه ، فأقر الجميع بطهارة ولدى في حياته ، بل عرفونى بأنه كان داعٍ إلى الله . وكان يقوم مع بعض أصحابه بمقاطعة كل من يحدث فتاة ، أو يضعف أمامها فحمدت الله تعالى ، ودعوت ربى أن يكرمه بجنة الفردوس الأعلى ، وإن يتقبله عنده بقبول حسن ، ويرزقه صحبة النبيين والشهداء والصالحين . وأن يوسع قبره ، ويؤنس

وحشته ،. وينور. حياته ،. ويكتب لنا الملقاء. به على خير ورحمة .

يا أبنائى .....

بموت أخيكم " **عبد الله** " المفاجئ أنهارت التصورات العملية المتصلة بترتيب مجئ الموت وفق ترتيب زمانى أو مكانى . وصدق الله تعالى في قوله : ﴿ **لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ** ﴾[١].

وفى قوله سبحانه : ﴿ **قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ۝٤٩** ﴾[٢] .

وعلى المسلم أن يتيقن بهذه الحقيقة حيث يأتى الموت فجأة ، وبلا توقع .

يموت الصحيح ، ويسلم المريض .

يموت الصغير ، ويبقى الكبير .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٥٤.

(٢) سورة يونس ، الآية ٤٩ .

ينجو إنسان من غرق في البحر ، ويموت غيره بشربة ماء .

كل ذلك بقدر الله وإرادته ، ولابد من التسليم بقضاء الله تعالى ، ومداومة الذكر والدعاء .

وتذكروا **. يا أبنائى .** الموت ، واستعدوا له فهو قدر مكتوب. على كل إنسان. ،. ولن يفلت منه أحد ،. وموعده مغيب عن الناس اختبارا لهم من الله تعالى ، فلا تغفلوا عنه واعملوا له ، واستعدوا بالعمل الصالح ليكون الموت مجرد انتقال من دار الشقاء والعمل والابتلاء ، إلى دار الفوز والجزاء والنعيم .

أسأل الله تعالى أن يرزقكم طول العمر ، لتزدادوا خيرا وأكرر لكم أمنيتى ، وهى أن تستمروا جميعا متعاونين لكل حقه ، ولكل دوره ، وعليه مسئوليته ، وبذلك تعيشون أقوياء منتصرين .

وتذكروا **. يا أبنائى .** حقى عليكم وبخاصة بعد موتى ، وهو منحصر في الدعاء بالمغفرة والرحمة ، ونيل الدرجات العلا في الجنة ، والبر بحب من أحببت ، ووصل

ما كنت على صلة به .

ومن البر بالوالدين بعد موتهما حسن الذكر ، والخلق ، والتمسك بالفضيلة ، ومكارم الأعمال .

بعد وفاة " **عبد الله** " أعاننا الله ، وتمكنا من تجهيز مقبرة تعتمد علي اللحد الشرعى في دفن الموتي ، ووارنياه الثري ، وتقبلنا العزاء فيه أول ليلة بالبلدة " **منية مسير** " وفي ثاني ليلة تقبلنا العزاء في المقر المعد لذلك ، وللملحق بمسجد رابعة العدوية بمدينة نصر ، وامتلأت الليلة بكلمات العزاء من العلماء والمفكرين ، وحضور جمهرة غفيرة من علية القوم والمسئولين ، وألقي فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الغفار هلال قصيدة شعرية ، وقد عاشت كلمات القصيدة في خاطرى ، فوجدت نفسي أنشد علي منوالها شيئاً من خواطرى .

وهذه خواطرى أرثيت بها ولدى بعدما ودعنا جميعا أخاكم " عبد الله " عليه رحمة الله تعالى .

عشت الحياة وكلها أحمال

يبقى الضعيف ، ويرحل الأبطال

(١٠٤)

فى ليلة من شهر الصيام رأيتنى

وسط الممات وحولى الأنجال

كان العيال جمعيهم فى فرحة

بعد الفطور وكلهم أشبال

نزل القضاء مفاجئا ومباغتا

غاب السرور ومادمت الأحوال

فلقد قضى ربى بموت صغيرنا

فأجاب ربا قد نداه تعالوا

وأتانا ناعى الموت يعلن وقته

عقلى وقلبى نحوه قد مالوا

*****

حزن الجميع كبيرهم وصغيرهم

فهو الذى أعطى لهم ما نالوا

يأتى الكبير ليطلب نفعه

وأراه يلعب حوله الأطفال

*****

(١٠٥)

يـارب لا تمنـع ودادك نحوه

فهو المحب الصادق القوال

قد كان يرجو أن يدوم مناضلاً

لينـال فوزاً حجمـه أميـال

ويعيش بين الناس نفعاً دائماً

وكأنه سيل ماله أغلال

يـارب لا تقطع رضاك فإنه

عبد أحبك والحبيب ينـال

وأزح تراب القبر عن جنباتـه

فهو الطهور نقاؤه يكتـال

واجعل له قبرا منيراً ساطعاً

فهو الصبور المؤمن البتـال

وارزقـه صحباً كراماً طبعهم

أعلى وأخير من صحاب بالوا

ليعيش فى روض عظيم شأنه

يجرى ويلعب فى دربه ويجول

يـارب أكثر عطـاءك نحـوه

ليعيش سعداً كلـه الإجـلال

*****

أيهـا الغالـى وأنت صغيرنـا

تدع الحياة وحزننا ينـهال !

من غير أن نـدرى بشئ حولنا

تجد المصاب نساؤنا ورجـال

*****

رحمـاك ربى بالفقيد وأهلـه

الكل راض ، عندك الآجـال

ما كنت أدرى أن يومـك قد أتى

وشئون أمرك فى الدنـى قد زالوا

لـم أكن أدرى وحسبى بعده

أن صحبك يشهدون وقالوا

شهدوا بأنك كنت شابا مؤمنا

بالحق والإسـلام كنت تقول

قد كنت تؤمن بالعقيدة مدركا

أن الحياة عقيدة ونضال

عشت للقرآن تحفظ نصه

وتطبق المعنى دائما وتجول

وأقمت دين الله روضا ناضراً

بين الجميع ، ونوره سَيَّال

قد كنت تؤمن أن دينك كله

عمل دءوب ماله أمثال

دين يقوم على النوايا والنهى

وأمامه تتعانق الأفكار والأعمال

ولكل نفس ما نواه بفعله

وحساب ربى شامل فعال

وهذا يطمئننى بسعدك كله

في جنة الله مرتع ومآل

*****

أيها الغالى إليك تحيتى

وتصبرى فمصابنا أهوال

فى صحبه كان الكريم عطاؤه

وحياته فيهم بسمة وجمال

ولسائر الأفراد يبذل جهده

الكل يمدحه وتكثر الأقوال

*****

حمداً لربى أن أنار بصيرتى

فصحوت من ألمى وصحت أقول

الكل يهلك والبقاء لربنا

فهو الإله الدائم الوصَّال

الله يقضى لا يرد قضاؤه

خلق الوجود وماله إبطال

يحيى الحياة لمن يشاء ومن يمت

فيها ولكل خلق حال

الله يقضى للخلائق كلهم

كل العبيد تحدهم آجال

الموت حق واقع بزمانه

يلقاه شيخ طاعن وعيال

والعين تدمع والقلوب حزينة

ورضاء ربى مبدأ مفضال

الله ربى لا يناقش حكمه

فهو القدير الحاكم الفعال

ستر الممات عن العباد لحكمة

ليعيش كل فرد عمره أشغال

*****

يا صحب رفقا لا تلوموا لوعتى

وتألمى إن الفقيد رجال

لا تعجبوا من حزنناً وحديثنا

وذهولنا فمصابنا قَتَّال

جمع الرجولة والمجادة كلها

كان الجسور وطبعه حمَّال

يجرى ويتعب كى يحقق رغبة

ولأهله كان لنفعهم جوال

عشق المتاعب كى يعيش مجاملا

ومع المصاعب إنه الحلاَّل

لم يكن إلا ضياءً ساطعاً

ملأ الحياة ونوره هطال

كان الريادة والقيادة والتقى

كان الإمام ، وحوله الإضلال

شهد الشباب بطهره وبحبه

وتذكروا عملا لهم وأطالوا

فيا أيها الأحباب هاتوا عقلكم

وتفهموا إن المصاب كمال

وتذكروا أن الحياة قصيرة

وتفكروا في أمركم وتعالوا

ندرك الحق المكين فعنده

يبهت العقل وتسكت الآمال

ويرجِّع المرء العظيم لربه

الكل يرجع ، شيخهم ، وعيال

القبر مسكنهم ومثواهم به

لا أهل عندهم ، وتمكث الأعمال

*****

اسكنه ربى فى قصورك إنـه

ذكـر الألـه وحبه أثقال

واجعل رفاق محمد صحباً لـه

عمرو ، وزيد ، خالد ، وبـلال

ومن الحسان الحور عين زهرة

لتدوم زوجاً حوله تختال

ويرى الجمال مجسَّد ومصَّوراً

ويعيش حسنا ماله إقفال

ويرى القبور وقد تبدل حالها

فبدا الرمال كأنـه أموال

ويعيش سعداً لا مثيل لكنهـه

فى خيره فى ضوئه ينثال

*****

يارب لا تقطع ودادك إنـه

عبد أحبك ، للحبيب دلال

قد كان يأمل فى رضاك ويتقى

ويريد فـوزاً للجنان ينـال

يـارب لا تقطـع رؤاه فإننـى
أحيا بهـا ، وأعيدهـا ، وأقـول
لمَّـا أراه ممتَّعـا فـى قـبره
تسمو لـه روحـى وسعادتـى تكتـال

*****

يا أيهـا الغالـى فراقك هزنـا
ولقـاؤك الآتـى بغيـة ومنـال
الكل يرجـو وينشـد خيركم
والله يجمعنـا وفـوقنـا الإظـلال
يا أيها الغالى صرت ذكرى بيننا
عند الجميع وفيهم الأفضـال
وما الإنسـان إلا فكـرة وعلا
يعلـو بجوهرها دائما ويطـول
فيا أيـها الأحباب كونوا رحمـة
وتلمسوا صبرى لتكثر الأنـوال
وتذكروا ولدى في دعواتكم
ليعيـش قـبرا نـوره أميـال

ويرى مقام الخير عند إلهنا

أيكا ورزقا ماله أشكال

ونعيش فى سلواه حتى نلتقى

عند الإله وأرزاقه تنهال

*****

ولدى . محمد .

أبنائى الأعزاء

بناتى الفضليات

فى النهاية لكم تحياتى ، ودعائى

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبوكم

أ/ د أحمد أحمد غلوش

ـ الختام ـ

الحمد لله في الأولين ، والحمد لله في الإ خرين ، والحمد لله إلي يوم الدين .

الحمد لله علي ما أعطى ، والحمد لله علي ما أخذ ، والحمد علي فضله ونعمه ، فهي كثيرة سابغة وأسأله سبحانه :

- أن يغفر زلاتي ، ويستر عوراتى ، ويهديني سواء السبيل .
- وأن يعوضني عن فقد ولدي ، ويؤجرني علي صبري وتسليمي
- وأن يجمع بيني وبين أولادى في الآخرة كما جمعني بهم في الدنيا
- وأن يضع في ذريتي الصلاح والتقي ، وحسن الخلق ، وحسن معاملة الناس ، ويهديهم لكل خير وفلاح ... أمين .

د/أحمد أحمد غلوش